نهاية التاريخ

دراسة شرعية تأصيلية جادة

تأليف

تركي بن عيسى العبدلي

غراس

للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ
فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ
وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ
وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾

[محمد: ١٨ – ١٩]

نهاية التاريخ

دراسة شرعية تأصيلية جادة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد...

لقد كثر التأليف حول الفتن والملاحم منذ بداية التدوين في التاريخ الإسلامي الى وقتنا المعاصر.

وقلّما تدخل مكتبة إلا وتجد العشرات من الكتب المؤلفة في هذا الباب، سواء من المتقدمين أو المتأخرين ولعل أكثرها من المعاصرين!.

ولعل من الأسباب التي دفعت المعاصرين للكتابة حول هذا الموضوع، هو كثرة ظهور الفتن وأشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ، والتي نتحدث عنها بين الفينة والأخرى.

لكن للأسف كان الكثير من هذه الكتب - المعاصرة! - غَثّها أكثر من سمينها وضررها أكثر من نفعها، ورأيت أن كتّابها على ثلاثة أقسام:

الأول: ليس له هم إلا جمع الأحاديث والآثار من كتب السابقين من غير تدقيق ولا تمحيص، ولو جمعتَ ما أُلِّف على هذا النسق لما وجدت بين نسخها فرقا غير اسم الجامع!

الثاني: أراد الحق وأخطأ الطريق وتوهم أوهاما فظن أنها الحق فسطر العجائب والغرائب في كتابه.

الثالث: مصلحة تجارية - ونعوذ باللّه أن نحكم بالظن لكن القرائن تدل على ذلك - فلا تكاد تجد من خير فيها إلا ولوّثه بأوهام باطلة لا تستند إلى دليل شرعي أو قاعدة منطقية مقبولة.

ولنأخذ كتاب (هرمجدون) مثلا للكتب التي تفقد المصداقية العلمية، فقد طبع من هذا الكتاب آلاف النسخ وانتشر انتشارا واسعا بين أيدي العامة بل وبين أيدي بعض طلبة العلم.

وبعد اطلاعي عليه وجدت العجب العجاب، من أفكار ساذجة، ونتائج باطلة، وأدلة غير معتبرة في الميزان الشرعي، وعلى ما في الكتاب من ضلالات وحيدة عن الحق، كان المؤلف يتكلم وكأن كتابه آخر كتاب يصدر قبل ظهور أول العلامات الكبرى، بل كأنه ضبط ساعة معصمه ينتظر ساعة الصفر وانفجار الموقف.

وقد ملأ كتابه من نبوءات (خرافات) نوستراداموس الكاهن الفرنسي! وغيره من دَجَلَة بني اسرائيل وكهانهم، زاعما أن لديهم مخطوطات إسلامية لم نطلع عليها، وأنهم استقوا العلم منها وأخرجوه بلباس نبوءات كهنوتية.

ولم يعلم هذا المسكين أنه طعن في كمال هذا الدين من حيث لايدري، وهناك أخطاء أخرى كثيرة متعلقة في كتابه ليس الآن مجال التعليق عليها أو البسط في نقدها، وإنما أردت أن أسوق مثالا على ما في الساحة من كتب تتصف بالزيغ عن الطريق الصحيح، المتمثل في

النظر في الأدلة، والاستنتاج المتوازن من وحيها.

ومع ذلك فهناك كتابات جيدة في الساحة، ككتاب إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة للتويجري رَحِمَهُ اللهُ وأشراط الساعة للوابل وغيرهما.

كما أنه لا يفوتني في هذا المقام، أن أنبه القارئ الكريم على ما في كتاب الفتن لنعيم بن حماد رَحِمَهُ اللهُ، من أحاديث موضوعة، واخبار منكرة، لا يعتمد عليها، وكثير ممن يكتب في هذا الباب يعتمد على هذا الكتاب، من غير تحقيق لسنده أو تدقيق في متنه.

وقد قال الإمام الذهبي عندما ترجم لنعيم بن حماد، في كتابه سير أعلام النبلاء، معلقا على كتاب الفتن: (. . . وقد صنف كتاب الفتن فأتى فيه بالعجائب والمناكير) ولا نقصد أن كتابه غير معتبر بالكلية، أو أنه ساقط من رتبة كتب العلم والعياذ باللَّه، إنما قصدنا التحري والدقة في النقل وتحقيق النصوص تحقيقا علميا رصينا، ولا يدرك ذلك إلا جهابذة الحديث ونقاده.

أما السبب الثاني: فقد اطلعت على بعض الكتب، والتي أفردت في أقوال لبعض كهنة بني إسرائيل، والتي تتكلم عن أشراط الساعة، وحقيقة لا أدري لم اهتم هؤلاء هذا الاهتمام الكبير بأقوال الكهنة والقساوسة وعندهم من ميراث النبوة ما يكفيهم عن خزعبلاتهم وأكاذيبهم وأوهامهم، ومن المعلوم أن قول النبي ﷺ: (حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج) وقوله(ما حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا باللَّه ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن

كان حقا لم تكذبوه) إنما هو في ما نقلوه من كتبهم المقدسة الأصل، لأنه قد اختلط بها بعد التحريف ما ليس منها، فيخشى أن يحدثوا من كتبهم فيصيبوا بعض الحق القديم فننكره، لذلك ورد هذا الحديث، كما أنه من المعلوم إنهم إن حدثونا بما هو باطل في شرعنا مما اتفق عليه الأنبياء والرسل كذبناهم ولا كرامة، ولا يشملهم نص الحديث آنف الذكر، كما لو حدثونا بأن اللّه ثالث ثلاثة - تعالى اللّه عما يقولون - ونسبوا ذلك لكتبهم.

وغير ذلك كثير أما أننا ننقل عن نوسترداموس من كتابه القرون، الذي سطره من وحي شياطينه مدعيا أنها حقائق، ثم نصدقها متذرعين بهذه الأحاديث، فهذا خطأ في الفهم وجهل في الدين ومقاصده.

والسبب الثالث: الذي يُشَكِّل أحد البواعث على كتابة هذا البحث هو أنني قرأت كثيرا في كتب الفتن لا سيما الأحاديث التي ذكرت فتنة الدجال، وكان القاسم المشترك بينها أنها في الغالب غير مرتبة ترتيبا جيدا حسب الوقائع والأحداث، ومن حاول الترتيب لم أجده شرح مشكل ما اختلف من ظاهر الروايات، إنما اكتفى بسرد الأحاديث كما جاءت مع بعض التعليقات التي لا تتطرق إلى كثير من المشكلات في الروايات المذكورة، وإن كان هذا جهدا يشكرون عليه، لكنني أشعر أن الأمر لا يزال مفتقرا للمزيد.

لذلك بدا لي أن أكتب في هذا الموضوع محاولا حل الإشكالات التي ترد على بعض الروايات، حتى يتضح للقارئ ما خفي من غوامضها بأسلوب سهل وميسر، وأن أجمع شتات أقوال العلماء الخاصة

في هذا الباب المبثوثة في الدواوين الكبار، وأن أرتبها ترتيبا جيدا يهون على طالب العلم طريق البحث وعناء المقارنة والنظر.

والسبب الرابع: قيام الكاتب و المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما[١] في أعقاب حرب الخليج الثانية بنشر مقال بعنوان (نهاية التاريخ)، ثم تطور إلى كتاب بعنوان (نهاية التاريخ ومصير الإنسان)، ينقل فيه نظريته التي تقول بأن التاريخ قد أقفل أبوابه و أسدل ستارته على اللبرالية الغربية والنظام الرأسمالي الحديث، والحريات المزعومة، وأن هذا الفكر أصبح سيد الموقف الآن وغدًا وإلى أن تفنى البسيطة ومن عليها.

وبعد مضي عشرة أعوام على طرح هذه النظرية، كتب مقالا يرد على من انتقد مقاله الأول محاولا أن يبرهن على أنه كان مصيبا في ذلك، وأن النظام الغربي ما زاد إلا قوة على جميع الأصعدة، بينما باقي الأيدلوجيات آخذة في الذوبان في أفكاره ومعطياته، واستطرد فوكوياما في إثبات هذه النظرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا مستشهدا بالتطور الهائل الذي تشهده الساحات العلمية الغربية.

وطالب الثقافات الأخرى على اختلاف أنماطها، أن تتكيف مع اللبرالية الغربية لأنها الوريث الشرعي!! لجميع الثقافات المطروحة على الصعيد الإنساني، بل إنها أصبحت قطب الرحى والثمر المبتغى لكثير من شعوب الأرض.

وأنا لا أنسب هذا الكلام بحروفه إليه، إنما هذا ما استنتجته من

---

(١) مفكر وكاتب أمريكي الجنسية ياباني الأصل.

مجموعة مقالات له، وحبذت تلخيصه هنا غنية عن سرد سذاجته في هذا المقام، فانبرت أقلام لا أقول للمفكرين المسلمين فحسب، بل لمفكري كثير من الثقافات البشرية أيضا في الرد على هذه الترهات، وأنها لا تستند إلى دليل عقلي رصين، أو طرح موضوعي بعيد عن الغلو والتشدد في النظام اللبرالي القائم في ذهن فوكوياما.

حيث إنه أخذ في إثبات ما يظهر له من محاسن في هذا النظام، متغافلا عن سلبياته العظيمة، في سبيل إثبات ما أراد إملاءه على مثقفي العالم طرا، وكأن العالم يعيش بعيدا عن الواقع المر الذي أفرزته هذه الحضارة المتعثرة.

ولا غرابة أن يخرج من يخرج في كل حضارة، ويدعي لها الخلود والبقاء، تحت أي تبرير، وتحت أي مسمى، ولو ناهض العقل! وخالف الواقع، والباحث في تاريخ الحضارات السالفة لا شك أنه واجد نماذج كثيرة على هذا المنهج، فحضارة الفراعنة واليونان وغيرهم لم يعدموا من يقول قول فوكوياما بينهم ويدعي أنهم ملكوا سر البقاء والخلود، وقديما قالت عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[1]، ثم أصبحوا أثرا بعد عين وقرى خاوية على عروشها.

بل ولا أستبعد حضارتنا الإسلامية من ذلك، بعدما بَعُدنا عن سر خلودها وبقائها، وكان سفهاء القوم القريبون من السلطة آنذاك من شعراء وحكماء! - بعدما أقصي أهل الفقه والعلم - يدّعون بقاء دولتهم وسيطرتها على عموم المعمورة، إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه

(١) فصلت: ١٥ .

اليوم، ومزقت دولتنا شر ممزق وأصبحنا شذر مذر.

وحقيقة ليس هذا مقام الرد على أفكار و قوانين النظام اللبرالي الرأسمالي، بل أردت أن يكون مقام إثبات ما لم يعلمه فرانسيس فوكوياما، أو ما يَغُضّ طرفه عنه[1]، وهو أن نهاية التاريخ ليست كما قال، بل كما قال الرسول المعظم رسول الإسلام رسول النظام العادل الرباني محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم.

ولن أجعل جل همي الرد عليه، بل سأكتب بقلم الباحث عن الحقيقة في هذا الباب، من خلال ما ورد عن نبينا ﷺ، وما سطرته أنامل علمائنا رحمهم اللّه، وهي رسالة لبني ديني لإثبات حقيقة نهاية التاريخ بالوحي الرباني لا بالفكر (اللبرالي!).

بقلم

تركي بن عيسى العبدلي

---

(١) وهذا لما وجدت في مقالاته من اطلاع واسع على معالم الدين الإسلامي!.

تمهيد

يتكون هذا البحث من بابين:

الباب الأول: نستعرض فيه أشراط الساعة المذكورة في السنة النبوية، ونحاول من خلال العرض أن نحل المشكل من هذه الآثار ونفسر الغامض من ألفاظها وأن نؤلف بين المتعارض منها في ظاهرها.

وقد جعلت محور هذا الباب (ظهورفتنة الدجال) أعاذنا اللّه منها، فنتكلم في صدر البحث عن ما يقع من الفتن قبل ظهوره، ثم نتكلم عن نشوء فتنته وانتشارها، ثم أفول نجمها وقتله، وبعد ذلك نذكر بقية أشراط الساعة مراعين في ذلك ترتيب وقوعها حسب أقوال العلماء والنظر في الآثار ومقارنتها.

وثمة صعوبات واجهتني في هذا البحث منها جمع الروايات المتفرقة في كتب الحديث لكل علامة من علامات الساعة ثم محاولة التأليف بينها في نص واحد حتى تتضح معالم تلك العلامة، مما يسهل فهمها ومعرفتها.

وكذلك من الصعوبات التي واجهتني خلال كتابة هذا البحث، محاولة الجمع بين الآثار التي في ظاهرها متعارضة، إذ كلفني ذلك قراءة كثير من الكتب المطبوعة والبحوث المنشورة للظفر بقول عالم هنا أوهناك ذكر قولا في الجمع بين تلك النصوص.

الباب الثاني: قمنا بمناقشة الطعون والشبة المثارة حول حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والتي نقلت لنا من خلاله حديث تميم عن الدابة - الجساسة - التي رآها في أحد الجزر وعن مقابلته للدجال،

ولصلة حديث فاطمة بنت قيس بموضوع بحثنا صلة وثيقة، إذ أنه يتكلم عن صفات الدجال ووقت خروجه وأنه يضيف إضافة تفرد بها وهي أن الدجال حي ومسجون في إحدى الجزر، فكان ولابد من تحرير ما أثير حوله من شبه وطعون.

وبم أن الحديث في صحيح مسلم فمن الأهمية بمكان النظر والتمحيص الدقيقين بمن قال وبما قال طعنا بهذا الحديث، ونرجو أن نوفق في ذلك.

وعلى كل نسأل اللّه التوفيق والسداد فيما سعينا له وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم.

الباب الأول

الفصل الأول
ما قبل خروج الدجال

إن ترقب خروج الدجال كان منذ زمن النبي ﷺ وليس هو بالأمر الجديد فقد روى مسلم في صحيحه بسنده: (عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟

قلنا: يا رسول اللّه ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل .

فقال: غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللّه خليفتي على كل مسلم. . .).

بل حتى الصحابة ﷺ كانوا يظنون قرب خروجه في زمانهم، فقد روى الإمام ابن ماجة في سننه بسنده (عن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ : ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة - وهو الرجل الذي يقتله الدجال.

قال: قال أبو سعيد: واللّه ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتى مضى لسبيله).

وما زال المسلمون عاما بعد عام يتوقعون خروجه، بسبب الفتن المضلة التي عمت أنحاء المعمورة، وكما قال النبي ﷺ واصفا عظم قدوم فتنته: (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر

من الدجال)[١].

ومن الملاحظ أن في الآونة الأخيرة ظهرت دلائل كثيرة على قرب خروج هذه الفتنة عصمنا اللّه منها لم تكن في الزمن الأول[٢].

منها تسارع ظهور الأشراط الصغرى حتى كادت أن تنتهي، ومن المعلوم أنه ليس شرطا في ظهور العلامات الكبرى انقضاء العلامات الصغرى كلها، ولم أر من نص على ذلك من أهل العلم.

ولعظم هذه الفتنة أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ من فتنة الدجال في كل صلاة ، وإن كان أمره هذا على وجه الاستحباب عند الجمهور وذهب بعض الفقهاء إلى أن هذا الأمر للوجوب كالظاهرية وغيرهم .

ودليلهم ما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ باللّه من أربع يقول اللّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال).

ولكن يسبق خروجه دلائل كثيرة ذكرها النبي ﷺ، بعضها وقع وبعضها لم يقع، غير أننا سنركز على أعظم ما لم يقع في هذا البحث، فمن تلك الدلائل:

(١) رواه مسلم ٤/٢٢٦٦ .
(٢) وإن كنا نقول بقرب ظهور فتنته لكننا لا نجزم متى ذلك.

أ - رجوع الجهة الشرقية من فلسطين والمسجد الأقصى للمسلمين.

والدليل على ذلك:

ما جاء في المسند وسنن أبي داود من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال (ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال إن هذا الحق كما أنك هاهنا)[١].

فإن قلنا إن وجود اليهود الآن في فلسطين هو الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ أنه سيحدث في آخر الزمان[٢]، فعمران المسجد الأقصى يتناقض تناقضا كليا مع وجود اليهود فيه الآن، وخروج اليهود من المسجد الأقصى ومن باقي فلسطين كلها، يتناقض مع الأحاديث التي تخبر بقتالنا مع اليهود بعد خروج الدجال في زمان المهدي وعيسى عليه السلام، وزمان المهدي وعيسى عليه السلام ليس ببعيد عن عمران المسجد الأقصى حيث إن الحديث ينص على أن بعد خراب المدينة تكون الملحمة التي يكون المهدي ، والمهدي مكوثه في الحكم لا يتجاوز

---

(١) رواه أحمد وأبو داود و لقد اختلف في تصحيحه واختار الشيخ الألباني رحمه الله تحسينه (انظر صحيح أبي داود ٣٦٠٩).

(٢) بناءً على رأي العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في كتابه فتنة الرجال والعلامة محمد رشيد رضا رحمه الله في مجلة المنار ٢٩/ ١٥٥ وعبد الرحمن السعاتي رضي الله عنه في الفتح الرباني جـ ١٦/ ١٩٢ وغيرهم.

السبع سنوات إلا قليلا، وعيسى عليه السلام يخرج إبان حكمه، فنستنتج من ذلك أن جلَّ هذه الأحداث ستقع في زمن المهدي والذي مكوثه فينا بين السبع والتسع سنين كما أخبرنا الرسول ﷺ.

وسأعيد هذا الكلام بطريقة أخرى تسهيلا على القارئ حيث ستكون الأحداث على هذا النحو:

١- عمران بيت المقدس الذي يعقبه خراب المدينة.

٢- خراب المدينة وخروج المهدي في غضون ذلك كما سيأتي شرحه.

٣- الملحمة التي يكون فيها المهدي (على الراجح)، وفتح القسطنطينية والدجال ونزول عيسى عليه السلام ومقتل الدجال على يدي عيسى عليه السلام، وقتال اليهود وإنهاء دولة رجسة الخراب[١] في سبع سنين أو أقل من ذلك، لثبوت ذلك من حديث النبي ﷺ: (المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويملك سبع سنين)[٢].

فإذًا المهدي سيشهد الأحداث التي ستقع بدءا من الملحمة إلى تطهير فلسطين من اليهود، وسيعيش بعدها كما سنبينه عند وصولنا إلى سيرته، نعرف أن هذه الأحداث كلها ستقع في غضون هذه السنين السبع أو أقل من ذلك والله تعالى أعلم.

---

(١) كما جاءت تسميتها في العهد القديم.

(٢) رواه أبو داود وحسنه الألباني.

ب - خروج أهل المدينة من المدينة لأمر سوء فتهجر ولا يعمرها إلا القليل وهو بخلاف الهجرة الكبرى آخر الزمان.

لقوله ﷺ في الحديث السابق: (عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة . . . ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال إن هذا الحق كما أنك هاهنا)[١].

على ضوء هذا الحديث يظهرأنه لا بد من رجوع بيت المقدس للمسلمين - ولا يلزم من ذلك رجوع كل فلسطين - كما سبق ذكره إلى يوم القتال الأكبر مع نبي اللّه عيسى عليه السلام وطردهم من أرض الإسلام وهذا مما سنتكلم عليه لاحقا إن شاء اللّه عند الكلام على القتال الأخير مع أعداء اللّه، عند إزالة رجسة الخراب بالكلية لا من بيت اللّه المقدس فحسب، بل من كل أرض فلسطين من النهر إلى البحر.

ومما يهمنا في هذا الحديث الآن هو قوله عليه الصلاة والسلام: (عمران بيت المقدس **خراب يثرب** وخراب يثرب خروج **الملحمة**) فمن المعلوم أن الملحمة تكون أيام المهدي والتي يعقبها فتح القسطنطينية ثم خروج الدجال، ولقد ثبت من عدة طرق أن الدجال إذا خرج يذهب إلى المدينة وترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج على إثرها كل منافق ومنافقة وغير ذلك من الأحداث التي سيأتي ذكرها عند حديثنا عن الدجال فما دام أن المدينة في زمن الدجال تكون عامرة، فنعلم من ذلك أن خراب المدينة هذا خراب أصغر، وهذا بخلاف

(١) سبق تخريجه .

الخراب الأكبر الذي بيَّنه النبي ﷺ، وأنها ستكون خواء تماما ولا يغشاها إلا عوافي الطير والسباع.

ولنا أن نجتهد في ذلك بأن الذي يخرجهم منها أمر وقتي وهذا واللَّه تعالى أعلم بسبب رجوعهم بعد ذلك للمدينة وعمرانهم لها أيام الدجال.

ولعل الناظر إلى المدينة النبوية حفظها اللَّه من كل مكروه يستبعد هذا الأمر، ولكن إذا كثرت المعاصي وانتشرت المفاسد فهي مجلبة لغضب اللَّه لا سيما وإنها موعودة بذلك في نص الحديث.

فهذه كتب التاريخ تذكر ما حل بالمدينة في سنة ٦٥٤هـ من ظهور تلك النار العظيمة وسيلان أوديتها بالحمم مع أنها كانت تنعم بأمان الحكم الإسلامي.

ولكن لانتشار المعاصي فيها كالمكس والمعازف وشرب الخمر جلب على أهلها هذا العقاب الرباني فهذا ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ يصف ما حدث فيقول: (وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه فطرح **المكس** . . . ورد علينا كل ما لنا تحت يده وعلى غيرنا . . .) (. . . وخرج أمير المدينة عن **مظالم كثيرة** إلى أهلها) وفي أحد الرسائل المنقولة في البداية يصف حال أهل المدينة (. . . واللَّه يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب أهلها ولا بقي يسمع فيها **رباب!** ولا **دف** ولا **شرب!!**)، فعلى المسلمين المبادرة بالتوبة والإنابة وعدم الإصرار على المعاصي لأنها مجلبة لغضب الرب نسأل اللَّه السلامة والعافية.

ج - خروج الملحمة:

بعد ما سبق ذكره من عمران بيت المقدس وخراب المدينة، يأتي الدور على خروج الملحمة، وهي معركة كبرى تقع بين المسلمين والروم، وتدور رحاها في بلاد الشام، وإليك مجموع النصوص التي ذكرت هذه الواقعة وقد جمعتها على هذا النحو:

(تصطلحون أنتم والروم صلحا آمنا[١] عشر سنين[٢]، يوفون سنتين ويغدرون في الثالثة أو يوفون أربعا ويغدرون في الخامسة[٣]، فينزل في ذلك الصلح جيش منكم في مدينتهم[٤]، فتغزون(معهم)[٥] أنتم وهم عدوا من ورائكم وورائهم[٦] فتقاتلون[٧] فتقتُلون[٨] ذلك العدو، فتنصرون فيفتح اللّه عز وجل لكم فتنصرفون بما أصبتم من أجر وغنيمة[٩] وتسلمون وتغنمون[١٠]، ثم تنصرون الروم[١١] حتى تنزلوا بمرج ذي تلول(مرتفع)[١٢]، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب

(١) الآحاد والمثاني ٥-١٢٣ ، المسند (أحمد) ٤-٩١، الطبراني في الكبير ٤-٢٣٦ ،ابن حبان ١٥-١٠١ ، ابو داود ٣-٨٦، البيهقي في الكبرى ٩-٢٢٣ .

(٢) الآحاد والمثاني ٥-١٢٣، والمعجم الكبير٤-٢٣٥ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الآحاد والمثاني.

(٦) المعجم الكبير٤-٢٣٦ وعند ابن حبان وأحمد (وراءهم) وعند أبى داود (وراءكم) .

(٧) المعجم الكبير٤-٢٣٦ .

(٨) الآحاد والمثاني ٥-١٢٣ .

(٩) المرجع السابق.

(١٠) ابن حبان ١٥-١٠١/١٠٢ .

(١١) المسند (أحمد) ٤-٩١ .

(١٢) ابن أبي شيبة.

ويقول: غلب الصليب[١].

فيقول قائلكم[٢]: بل اللّه غلب[٣]، فيتداولونها[٤] فيتقاولونها ساعة[٥] فيغضب المسلمون فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله[٦].

فيثور المسلم(صاحبكم)[٧] إلى صليبهم(وصليبهم جد بعيد)[٨]، يدقه(فيكسره)[٩] فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم[١٠]، ويبرزون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه[١١] فيقتلونه[١٢]، فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم، ويثور الروم إلى أسلحتهم فيقتتلون[١٣] فيقتلون تلك العصابة من المسلمين، فيكرم اللّه تلك العصابة من المسلمين بالشهادة ،(فلا ينجو منهم مخبر)[١٤].

فتقول الروم لصاحب الروم[١٥] ملكهم[١٦]: كفيناك

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ٩-٢٢٣ .
(٢) الآحاد والمثاني٥-١٢٣ والمعجم الكبير٤-٢٣٦ .
(٣) ابن حبان١٥-١٠١/١٠٢ .
(٤) ابن حبان ١٥-١٠١/١٠٢والمعجم الكبير٤-٢٣٦ .
(٥) الآحاد والمثاني٥-١٢٣ .
(٦) المسند (أحمد) ٤-٩١ .
(٧) الآحاد والمثاني٥-١٢٣ .
(٨) المرجع السابق.
(٩) المرجع السابق.
(١٠) (المسند) أحمد٤-٩١ .
(١١) المعجم الكبير٤-٢٣٦ .
(١٢) الآحاد والمثاني٥-١٢٣ .
(١٣) ابن حبان١٥-١٠١/١٠٢ .
(١٤) الآحاد والمثاني٥-١٢٣ .
(١٥) ابن حبان١٥-١٠١/١٠٢ .
(١٦) المعجم الكبير٤-٢٣٦ .

العرب[١](جزيرة العرب)[٢] وبأسهم (فماذا ننتظر)[٣].

فيجمعون لكم للملحمة[٤] قدر حمل المــرأة تسعة أشهر[٥]، ثم يقبلون إليكم تحت ثمانين غاية[٦] (راية)[٧]، تحت كل غاية (راية) اثنا عشر ألفا، (قال الرسول ﷺ فتلك **الملحمة العظمى**)[٨].

منازل المسلمين في الملحمة...:

ذكر النبي ﷺ أن المسلمين ينزلون في الغوطة بجانب دمشق، وهي البلد المعروف الآن في سوريا.

حيث جاء في مسند الإمام أحمد (...هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيسيرون إليكم على ثمانين غاية، قلت: وما الغاية قال: الراية، تحت كل راية اثنا عشر ألفا، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة، في مدينة يقال لها دمشق[٩] من خير منازل المسلمين في الملاحم[١٠] من خير مدائن الشام[١١]).

---

(١) ابن حبان١٥-١٠١/١٠٢ .
(٢) ابن حبان١٥-١٠١/١٠٢ .
(٣) المعجم الكبير٤-٢٣٦ .
(٤) المسند (أحمد) ٤-٩١ .
(٥) المسند ٢-١٧٤ ، الآحاد والمثاني٥-١٢٣ .
(٦) البخاري ، ابن ماجة ، الآحاد والمثاني ٥-١٢٣، المعجم الكبير٤-٢٣٦ ، المسند أحمد٤-٩١ ،ابن حبان ١٥-١٠١/١٠٢ .
(٧) المسند ، المعجم الكبير ، الآحاد والمثاني٥-١٢٣ ، المستدرك .
(٨) الآحاد والمثاني.
(٩) احمد ٦- ٢٥ واسناده صحيح.
(١٠) احمد ٥- ٢٧٠ قال شعيب حديث صحيح.
(١١) أبو داود ٤-١١١ .

منازل الروم . . . . :

أما الروم فتكون منازلهم في نواحي حلب بالأعماق أودابق وهي شمال دمشق، ودابق قرية صغيرة معروفة الآن، ودليل ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه (ينزل الروم بالأعماق أو بدابق)[١].

وقائع الملحمة . . . . :

١- الروم تفاوض على أن يكون القتال مع الفرقة التي غزت ديارهم، وسبت منهم، ثم لحِقَت بجيش المسلمين، وقيادة الجيش الإسلامي ترفض هذا العرض،(قالت الروم خلو بيننا وبين الذي سبوا منا نقاتلهم)[٢] فيأتي الرفض على هذا النحو: (فيقول المسلمون لا واللّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا)[٣].

٢- بداية القتال: ينزل الخوف والرعب بين المسلمين إلّا من عصم اللّه عز وجل، فينهزم جرّاء ذلك ثلث الجيش الإسلامي، ولعل ذلك لعظم هذه الحرب وقوام جيشها الهائل المروع .

دليل ذلك ما جاء في صحيح مسلم من رواية عبداللّه بن مسعود ﵁ (وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة)[٤] وكذلك ما رواه أبوهريرة ﵁ في صحيح مسلم أيضا حول هذه الحادثة (فينهزم ثلث لا يتوب

---

(١) مسلم بشرح النووي ٤-٢٢٢١ دابق والأعماق المناطق القريبة من حلب في الشمال جهة تركيا!.
(٢) مسلم ٤-٢٢٢١ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .

اللّه عليهم أبدا)[١].

٣- وضع المسلمين في ساحة القتال: (... فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون ، شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة)[٢].

٤- إتيان المدد من المدينة: وبعد انتشار خبر عِظَم جيش الكفار القادم من الشمال ينطلق جيش من المدينة النبوية[٣] لنصرة جيش المسلمين ومددا لهم على أعدائهم(فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة هم خيار أهل الأرض يومئذ)[٤].

٥- نهاية المعركة يصفها النبي ﷺ وصفا عجيبا، حيث قال: (فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل اللّه الدَّبَرَةَ عليهم فيقتلون مقتلة إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا، (فيقاتلونهم ويهزمونهم حتى تبلغ الدماء نَحْرَ الخيل)[٥]، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى

(١) رواه مسلم ٤/٢٢٢١ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) وفي تأويل لأهل العلم أن المدينة المقصودة في الحديث هي حلب .
(٤) ابن حبان ١٥-٢٢٤ قال شعيب إسناده صحيح .
(٥) ابن حبان ١٥-١٩٢ وقال محققه إسناده صحيح .

منهم إلا الرجل الواحد)[١].

٦- نتائج المعركة بالنسبة للمسلمين باختصار: (فينهزم ثلث لا يتوب اللّه عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند اللّه ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا)[٢].

٧- المرحلة الأخيرة من المعركة: فتح القسطنطينية، حيث يشق الجيش الإسلامي الطريق إلى القسطنطينية فاتحا لها فتحا جديدا، فيفتحها اللّه عز وجل لهم، ويكون لهم فيها مغانم كثيرة كما جاء في الأثر: (ثم يستفتحون القسطنطينية فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة...)[٣].

٨- بداية ظهور الإشاعات بأن الدجال ظهر: (إذ أتاهم فزع أكبر من ذلك، إن الدجال قد خرج في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون ويبعثون طليعة فوارس، قال رسول اللّه ﷺ هم يومئذ خير فوارس الأرض، إني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وألوان خيولهم)[٤].

وهذا يدل على أنهم كانوا يترقبون ظهوره وأنهم يتدارسون الفتن وأشراطها ويعرفون ترتيب وقوعها وأن فتحهم للقسطنطينية ما هو إلا علامة على خروج الكذاب الأشر.

٩- رجوع كتائب المسلمين إلى الشام: (فيخرجون - بعد ذلك النداء، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج - أي الدجال -)[٥].

(١) مسلم ٤- ٢٢٢٣ سبحان اللّه ! ما هذه الحرب التي يموت منها الطير في السماء ويكون فيها موتا جماعيا بهذه الصورة !.
(٢) مسلم ٤-٢٢٢١ .
(٣) ابن حبان ١٥- ١٩٢ .
(٤) المرجع السابق.
(٥) مسلم ٤-٢٢٢١ .

د - خروج المهدي[١]:

إن كل عصر ينقضي وقرن يبتدأ يقربنا من الوعد المضروب، لا سيما في عصرنا هذا والذي توالت فيه النكبات على أمة محمد ﷺ وظهرت أشراط الساعة الصغرى، الواحدة تلو الأخرى نعرفها كما نعرف أبناءنا ونتذاكرها بيننا، ولقد جاءت عدة أحاديث وآثار، تدل على أنه إذا تقارب الزمان يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ، يصلح ما أفسده الناس.

ولقد ظهرت مقدمات ظهوره[٢]، من سيطرة اليهود على بيت المقدس، ورفع الحكم بما أنزل اللّه، وكثرة الفتن، وكثرة القتل، وتداعى الأمم علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وسقوط هيبتنا أمام أمم الكفر، وصارت أمة الإسلام شذر مذر، وظهرت طوائف

(١) هل كلمة المنتظر واقترانها بكلمة المهدي - عند كثير من الكتاب - لها توجيه شرعي صحيح أم لا ؟ حيث إنها من مصطلحات الشيعة الإمامية ، وتسربت إلى كتب بعض السنة كما تسرب غيرها كـ (كرم اللّه وجهه) لعلي رضي الله عنه وعدم قولها لأبي بكر رضي الله عنه مثلا ، و(عليه السلام) للحسين رضي الله عنه دون باقي الصحابة وغير ذلك ، والذي يتضح تركها أولى ولنا في ما كان عليه السلف من مصطلحات غنية عنها.

(٢) في رأيي أن المهدي من العلامات الصغرى وليس من الكبرى كما يتوهمه البعض ، حيث ليس هناك ما يدل على ذلك ، فالرسول ﷺ لم يدرجه مع العلامات الست العظام ، ولا يرافق ظهوره أي تغيرات سفلية أو علوية ، ولا شك أنه أمير صالح ، كما لا شك أنه قد تولى أمر المسلمين من هو خير منه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لكن الرسول ﷺ بشر به لانقطاع الخلافة التي على النهج الأول ، وهو بوابة للعلامات الكبرى إذ في زمانه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، وعلى المسلمين الحذر كل الحذر من أهل الفتن المضلة ، الذين يتلاعبون بعواطف الناس ويدعون أن المهدي فلان أو فلان ، لتأييد دعوى باطلة أو فكرة هدامة وعلى كل فقد قال سفيان الثوري رحمه الله حسما للفتنة (وإن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس) .

وأفكار منحرفة تجرف الأمة في تياراتها النتنة . . .الخ وحسبنا اللّه ونعم الوكيل.

علامات خروجه:

١- أن تملأ الأرض بالجور والظلم وينتشر القتل في أرجائها وأن لا يستطيع المسلمون إقامة دينهم ونشر فضيلتهم: (لتملأن الأرض جورا وظلما وعدوانا، فإذا ملئت جورا وظلما،بعث اللّه رجلا مني، اسمه اسمي،فيملؤها قسطا وعدلا،كما ملئت جورا وظلما)[١].

(كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال علي رضي الله عنه: هيهات، ثم عقد بيده سبعا فقال: (ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل اللّه اللّه، قتل. . . الخ)[٢][٣].

٢- ومن علامات مقدمه قتل النفس الزكية .

روى ابن أبي شيبة قال حدثنا عبد اللّه بن نمير قال حدثنا موسى الجهني قال حدثني عمر بن قيس الماصر قال حدثني مجاهد قال حدثني فلان رجل من أصحاب النبي ﷺ : (إن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء

(١) رواه أحمد وغيره والحديث صحيح .
(٢) أخرجه الحاكم وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
(٣) يستغل بعض ذوي المآرب هذه الآثار في إثارة الفتن بين المسلمين، وواقعنا ولله الحمد بخلاف ذلك فهذه مساجدنا عامرة، وعلماؤنا تعقد لهم مجالس الأفتاء، ودور القرآن مزدحمة بالمتعلمين، وحلقات العلم في المساجد متتالية، وكليات الشريعة تخرج طلبة العلم أفواجًا أفواجاً، فأين هذا الواقع من زمن لا يستطيع المسلم أن يقول (اللّه، اللّه) سبحان اللّه!!

ومن في الأرض فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها وهو يملأ الأرض قسطا وعدلا . . .)[١].

٣- تطلع مع الشمس علامة يعجب منها القاصي والداني وتكون علامة على أوان ظهور المهدي ﷺ لما روي عن علي بن عبد اللّه بن العباس قال: (لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية)[٢].

٤- كثرة الخلاف بين الأمة وظهور الفتن بشكل كبير ودليل ذلك ما روي في مسند الإمام أحمد[٣] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه ﷺ: (. . .أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض) .

٥- خروج جيش لمقاتلة قوم يعوذون بالكعبة، فيخسف بذلك الجيش في بيداء المدينة، ولقد حاولت جمع ألفاظ النصوص الواردة في هذا الموضوع فجاءت كالتالي: (يعوذ عائذ - من قريش[٤] - بالبيت (بالحجر)[٥] فيبعث إليه - إليهم[٦] -بعث (يمنعه اللّه منهم[٧]) .

وفي لفظ (سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قوم ليست لهم

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٧- ٥١٤ وإسناده صحيح .
(٢) قال محقق كتاب البرهان إسناده صحيح أخرجه عبد الرزاق ٢٠٧٧٥ .
(٣) المسند ٣ - ٣٧، سنده ضعيف كما قال محقق المسند غير أن لهذا الواقع المذكور في متن الحديث شواهد تدل عليه، كما سيأتي عند ذكر حديث حذيفة في الفتن ولما سبق بيانه.
(٤) روى هذه الزيادة مسلم.
(٥) المسند ٦-٢٩٠ .
(٦) مسلم .
(٧) المسند.

منعة و لا عدد ولا عدة[١] .

وفي لفظ (يغزو جيش من أمتي الكعبة - ذوي زي[٢] -.

فإذا كانوا - بالبيداء[٣] - خسف بهم (يخسف بأولهم وأخرهم[٤] - ولم ينج أوسطهم[٥] - قلت يا رسول اللّه - ﷺ - فكيف بمن كان كارها(أي مكرها[٦]) - وفيهم (سواهم[٧] أسواقهم ومن ليس منهم[٨] - قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته على ما كان في نفسه، قال أبو جعفر هي - واللّه[٩] -بيداء المدينة).

---

(١) مسلم ٤/ ٢٢١٠ .

(٢) السنن الواردة في الفتن وغوائلها لأبي عمر الداني ، ويدل هذا اللفظ على إحدى معنيين إما أن لهم زيا مميزا لما عليه أهل البلد أو أن زيهم متشابه كحال الجيوش المعاصرة .

(٣) جاءت أكثر الروايات منكّرة بلفظ - ببيداء من الأرض - وهنا جاءت معرّفة ، وقد جاءت أيضا معرفة في صحيح مسلم وابن حبان وغيرهما .

(٤) البخاري.

(٥) مسند أحمد و السنن الكبرى للبيهقي وسنن النسائي (المجتبى) و ابن ماجة والترمذي وابن أبي شيبة في مصنفه و جاء في بعض الروايات أن الجيش لا يهلك كله بل ينجو منهم نفر يخبرون عن الجيش وما حل به . .

(٦) مسند ابن الجعد ١- ٣٩٣ .

(٧) ابن حبان ١٥-١٥٥ .

(٨) البخاري.

(٩) مسند ابن الجعد ١-٣٩٣ .

كيفية خروج المهدي:

في الحقيقة ليس هناك حديث صحيح متفق عليه في كيفية خروجه، ولكن هناك عدة أحاديث وردت في ذلك يكتنفها شيء من الضعف وإن صححها بعض أهل العلم منها هذا الحديث:

عن ثوبان قال: قال رسول اللّه ﷺ : (. . .ثم يقتتل على كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم، ثم ذكر شيئا لا أحفظه فقال فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة اللّه المهدي)[1].

صفاته الخَلقِية:

١- أجلى الجبهة، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: قال رسول اللّه ﷺ: (المهدي مني أجلى الجبهة. . .) ومعنى أجلى الجبهة أي خفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته[2].

٢- أنه أقنى الأنف كما جاء في الحديث السابق (. . .أقنى الأنف . . .) ومعنى القنا في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه[3].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٠ وابن ماجة في سننه وذكره ابن حجر في الفتح في سياق يدل على تصحيحه له فليراجع الفتح شرح الحديث ٦٧٠٢ وذكره تقي الدين الهندي في كتابه البرهان وقال محققه إسناده صحيح وقال ابن كثير في النهاية (تفرد به ابن ماجة وهذا إسناد قوي صحيح) ، كما أنه صححه البستوي صاحب كتاب المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة .

(٢) النهاية ١/ ٢٩٠ .

(٣) النهاية ٤/ ١١٦ .

وقفات مع زمن المهدي:

١- الوقفة الأولى: أن خروجه قبل الملحمة العظمى[(١)] أو مواكب لها، والدليل على ذلك بأن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض ويجد المهدي إماما بالمسلمين: (ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة)[(٢)]، فذلك يعني أن خروجه قبل ذلك بمدة ويكون الدجال آنذاك موجودا، وبما أن الدجال لن يمكث إلا ما يقارب السنة والنصف ويكون خروجه عقيب الملحمة، وأن المهدي يبايع ويقاتل على كتاب الله مدة، فلابد أن يكون خروجه إبان الملحمة إن لم يكن في جيش المسلمين الذي يقاتل في الملحمة أو قريبا من ذلك، هذا والعلم عند الله تعالى.

٢- الوقفة الثانية: أن في زمانه عليه السلام تكثر خيرات الأرض وبركات السماء، لما روى الحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: (يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا يعني حججا)[(٣)].

وهذا النعيم دون النعيم الذي سيكون في زمان عيسى عليه السلام، ويبدو لي أن المهدي سيخرج على حين قحط يصيب الأمة، فيسقيهم الله ويخرج لهم خيرات الأرض، ويكونون في هذا الخير سنين معدودة إلى حين قرب المسيح الدجال.

---

(١) سيأتي تفصيل وقائعها.
(٢) السلسلة الصحيحة ٥-٢٧٦.
(٣) صححه الألباني في السلسلة ٢/ ٣٣٦.

هـ - جدبٌ يعم أرض المسلمين:

أيضا من العلامات التي تسبق ظهور الدجال الجدب الذي يعم أراضي المسلمين ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد قالت كنا مع النبي ﷺ في بيته فقال: إذا كان قبل خروج الدجال بثلاث سنين حبست السماء ثلث قطرها وحبست الأرض ثلث نباتها، فإذا كانت السنة الثانية حبست السماء ثلثي قطرها وحبست الأرض ثلثي نباتها، فإذا كانت السنة الثالثة حبست السماء قطرها كله وحبست الأرض نباتها كله، فلا يبقى ذو خف ولا ظلف إلا هلك . . .)[١].

و- قلة الدين وانحسار العلم الشرعي، وظهور الجهال على أهل العلم.

وذلك لما جاء في المسند من حديث جابر بن عبد اللّه أنه قال: (قال رسول اللّه ﷺ: يخرج الدجال في خفقة من الدين و إدبار من العلم . . .)[٢].

(١) رواه أحمد ٦-٤٥٣ وابن ماجة ٤٠٧٧ والطبراني في الكبير ٢٤/ ١٦٠ وقد اختلف المحققون في تصحيحه.

(٢) المسند ٣-٣٦٧ قال شعيب إسناده على شرط مسلم وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر.

ز - انقلاب في الموازين العقلية والضوابط المنطقية لدى البشر.

لما جاء في المسند عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: (إن أمام الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة قال الفويسق يتكلم في أمر العامة)[١].

ح - ظهور فتنة تخص العرب:

ومن الفتن التي تسبق ظهور الدجال فتنة تظهر في العرب على وجه الخصوص، جاء ذلك في حديث حذيفة بن اليمان[٢] رضي الله عنه، وقد جمعت رواياته من كتب السنة حتى تكتمل الرؤية ويتضح المعنى من هذا الحديث فجاء على هذا النحو:

---

(١) رواه أحمد(٣-٢٢٠) قال شعيب حديث حسن.

(٢) صحابي جليل أسلم وهاجر إلى المدينة قبل غزوة بدر وعرف بصاحب سر رسول اللّه ﷺ حفظ من النبي ﷺ الشيئ الكثير من أشراط الساعة حتى أنه جاء في صحيح مسلم أنه قال: (واللّه إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة) ، وأشار رضي الله عنه في أكثر من مقام أنه لا يستطيع أن يحدث بكل ما يعرفه من أشراط الساعة فقد جاء في المستدرك ٤- ٥١٧ والمعجم الأوسط ٢-٣٥ رقم ١١٥٤ أن أصحابه سألوه أن يحدثهم فقال (لو فعلت لرجمتموني) ، وجاء في تهذيب الكمال ٥- ٥٠٧ (لو كنت على شاطئ نهر وقد مددت يدي لأغترف فحدثتكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل)، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يسلك مسلك حذيفة في السكوت عن بعض أحاديث الفتن التي لا يترتب عليها أحكام شرعية حيث روى البخاري رحمه الله في صحيحه قول أبي هريرة رضي الله عنه : (حفظت من رسول اللّه ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، (فأحدقه القوم بأبصارهم)[١]فأنكر القوم عليه ذلك.

فقال لهم: (إني أرى ما تنكرون)[٢] إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك، (كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[٣] (حتى أتقيه[٤])، (وعرفت أن الخير لن يسبقني)[٥] (قال من اتقى الشر وقع في الخير)[٦]، جاء الإسلام حين جاء فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية (أمر لم أر قبله مثله[٧])، (ان الله بعث نبيه ﷺ فدعا الناس من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى، فاستجاب من استجاب فحيي من الحق ما كان ميتا ومات من الباطل ما كان حيا[٨]).

(كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن القرآن[٩]) وكنت قد أعطيت في القرآن فهما، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير فكنت أسأله عن الشر.

فقلت: يا رسول الله (إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا

---

(١) أبو داود ٤-٩٥ .
(٢) المرجع السابق.
(٣) رواه البخاري.
(٤) المعجم الأوسط ٧-٢٢٧ .
(٥) المسند (٥- ٣٨٦) قال شعيب حديث حسن.
(٦) المسند (٥- ٣٩٩) قال شعيب صحيح.
(٧) رواه الطيالسي ١-٥٩ .
(٨) أحمد (٥ - ٤٠٤) قال المحقق إسناده صحيح .
(٩) مسند أبو عوانه ٤-٤١٤ .

الخير[١]) (وجاء بك[٢])، (أرأيت هذا الخير الذي أعطانا اللّه[٣]) أيكون بعد هذا الخير شر (نحذره[٤]) كما كان قبله شر؟

(فقال: يا حذيفة تَعَلّم كتاب اللّه واتبع ما فيه[٥]) (خيرا لك[٦]).

(فأعرض عنى فأعدت عليه ثلاث مرات، وعلمت أنه إن كان خيرا اتبعته وإن كان شرا اجتنبته، فقلت: هل بعد هذا الخير من شر[٧]؟)

فقال: نعم (فتنة وشر[٨]) (واختلاف[٩]).

قلت: فما العصمة يا رسول اللّه؟

قال: السيف.

قلت: وهل بعد هذا السيف بقية؟

قال: نعم تكون إمارة على أقذاء[١٠] وهدنة على دخن.

(قلت: يا رسول اللّه الهدنة على دخن ما هي؟

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٤٧٥ .
(٢) مسند أبي عوانة٤-٤١٤ .
(٣) الحاكم ٤-٤٧٩ صححه الحاكم ووافقه الذهبي ورواه أبو داود ٤-٩٥ .
(٤) رواه ابن حبان ١١٧ قال محققه إسناده صحيح.
(٥) أحمد (٥- ٣٨٦) قال محققه إسناده حسن .
(٦) رواه ابن حبان ١١٧ قال محققه إسناده صحيح.
(٧) أحمد (٥- ٤٠٦) قال محققه إسناده صحيح.
(٨) ابن حبان٥٩٦٣ قال محققه إسناده صحيح ، البزار ٧-٣٦٤ المعجم الأوسط ٤-٣٠ .
(٩) المعجم الأوسط ٧-٢٢٧ .
(١٠) الأَقْذاء : جمع قَذىً و القَذى جمع قَذاة ، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أوغير ذلك ، أراد أَن اجتماعهم يكون على فساد من قلوبهم . (لسان العرب) .

قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه[١]) (قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر[٢]).

قلت: (فهل بعد ذلك الخير من شر؟[٣]).

(فقال: يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرار.

قلت: يا رسول الله أبعد هذا الخير شر[٤])

(قال: فتنة عمياء صماء[٥])،(يكون بعدي أئمة لا يهدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس[٦]) دعاة الضلالة، (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله صفهم لنا.

فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا[٧])

(قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع[٨]).

(قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

(١) رواه أحمد (٥- ٣٨٦) قال محققه حديث حسن .
(٢) رواه مسلم ٣- ١٤٧٥ .
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أحمد ٥- ٣٨٦ قال محققه حديث حسن.
(٥) رواه أحمد ٥- ٣٨٦ قال محققه حديث حسن.
(٦) رواه مسلم ٣-١٤٧٦ .
(٧) رواه البخاري.
(٨) رواه مسلم ٣-١٤٧٦ .

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة (جذر خشبة يابسة خير لك من أن تتبع أحدا منهم[١])حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[٢]).

قلت: ثم ماذا؟

قال: يخرج الدجال[٣].

ما نستفيده من الحديث:

نستفيد من هذا الحديث برواياته المجموعة، أن قبل الدجال تكون هناك فتنة عظيمة تحل بالمسلمين وبالعرب على وجه الخصوص كما سبق بيانه، وقد وصفها النبي ﷺ بأنها عمياء صماء، ولأهل العلم آراء في معناها فمن هذه الآراء ما ذكره العظيم آبادي في عون المعبود:

(... فتنة عظيمة وبلية جسيمة عمياء أي يعمى فيها الإنسان عن أن يرى الحق، صماء أي يصم أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق أو النصيحة، قال القاضي: المراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لا يرى منها مخرجا، ولا يوجد دونها مستغاثا، أو أن يقع الناس فيها على غرة بصيرة فيعمون فيها ويصمون عن تأمل قول الحق واستماع النصح.

قال القاري: أقول ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها).

---

(١) رواه ابن حبان ٥٩٦٣ قال محققه إسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) أصل الحديث الذي أضفت عليه الروايات المذكورة عند أحمد ٥- ٤٠٣ وقال شعيب حديث حسن.

وذكر العظيم آبادي قولا آخر: (فتنة صماء بكماء عمياء، وصفت الفتنة بهذه الأوصاف بأوصاف أصحابها، أي لا يسمع فيها الحق ولا ينطق به ولا يتضح الباطل عن الحق كذا في اللمعات.

وقال القاري: المعنى لا يميزون فيها بين الحق والباطل، ولا يسمعون النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل من تكلم فيها بحق أوذي ووقع في الفتن والمحن).

وأضاف ابن الأثير معنى آخر لهذا الوصف بقوله: (هي التي لا سبيلَ إلى تَسْكِينها لتَناهِيها في دَهائها، لأن الأصمَّ لا يَسْمع الاسْتِغاثة، فلا يُقْلِع عما يَفْعَله).

فمن إمارات هذه الفتنة حسب حديث حذيفة:

١- أن يترك كتاب اللّه وسنة رسوله ولا يهتدى بهديهما.

٢- أنها فتنة عمياء صماء حسب ما سبق شرحه.

٣- ظهور دعاة لها من العرب لهم قلوب شياطين سماهم الرسول ﷺ دعاة ضلالة.

٤- أن هناك فرقاً كثيرة ستخرج إبان هذه الفتنة.

٥- ينبغي التزام ولي أمر المسلمين وجماعتهم والهروب بالدين.

ولقد بحثت جاهدا على أن أجد وصفا لهذه الفتنة أشمل مما ذكر في حديث حذيفة رضي الله عنه وأكثر تفصيلا، فوجدت عدة نصوص تتكلم عن فتنة عظيمة تحدث في المسلمين تشابه الى حد كبير ما ذكر في حديث حذيفة رضي الله عنه من عدة وجوه، وسأذكر هذه الوجوه بعد ذكر

النصوص للفتنة العظيمة التي رواها جمع من الصحابة ﷺ كأبي هريرة، وأبي بكرة، وعبد اللّه بن مسعود وأبي موسى الأشعري وآخرين:

١- روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (ويل للعرب من شر قد اقترب من فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ويل للساعي فيها من اللّه يوم القيامة)[١].

٢- وروى البخاري في صحيحه تحت عنوان (باب تكون فتنة القاعد فيها خير)، وذكر حديث أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به)[٢].

٣- عن أبي بكرة يحدث قال: قال رسول اللّه ﷺ: إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه.

قال: فقال رجل: يا رسول اللّه أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟

قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء اللّهم هل بلغت اللّهم هل بلغت اللّهم هل بلغت.

---

(١) صحيح ابن حبان ٦٧٠٥ قال محققه إسناده صحيح.
(٢) رواه البخاري.

قال: فقال رجل يا رسول اللّه أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني ؟

قال: يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار[(١)]).

يتضح من هاتين الروايتين أن هذه الفتنة تتقاطع مع الفتنة المذكورة في حديث حذيفة في أكثر من وصف، من ذلك:

١- أن كلتيهما وصفتا بأنهما عمياء صماء ولم أجد فيما اطلعت عليه من نصوص نبوية أن وصف غيرهما بمثل هذا الوصف.

٢- أنه شدد في نصيهما على الهروب من الولوج فيهما بشكل ملفت لنظر الباحث والمطلع على أحاديث الفتن، ففي الأولى بين أن المستجيب لداعيها يقذف في النار وفي الأخرى قال المصطفى ﷺ: (ويل للساعي فيها من اللّه يوم القيامة)، وبالمناسبة فقد حمل بعض العلماء حديث أبي هريرة على فتنة الخوارج التي كانت في زمن علي رضي الله عنه، وهذا بعيد فقد استجاب لعلي في قتالهم كثير من الصحابة، ولم يتورع أحد من السعي والكلام في إدانة الخوارج وقتالهم على شتى طبقاتهم العلمية، والأحاديث يؤيد بعضها بعضا وصريحة في قتال الخوارج، بل رتب الأجر على قتالهم وعدم التورع في ذلك كما جاء في بعض الآثار.

فمن مجموع الآثار السابقة بالإضافة إلى حديث حذيفة أن من إمارات هذه الفتنة ما يلي:

١- أنها تقع عندما يترك العمل بالكتاب والسنة ولا يهتدى بهديهما.

(١) رواه مسلم ٤-٢٢١٢ .

٢- انتشار البغي والظلم في الأرض.

٣- أن هذه الفتنة تستهدف العرب على وجه الخصوص.

٤- ظهور فِرَقٌ كثيرة كل يدعو لفكره ومنهجه.

٥- أن السعي فيها واستشرافها هو وقوع في الفتنة ولو لم تكن بين أفرادها.

٦- سيظهر لهذه الفتنة دعاة من العرب قلوبهم قلوب الشياطين يدعون إلى الضلالة والى المشاركة في هذه الفتنة.

موقف المسلم من هذه الفتنة:

١- أن يكون على حذر تام وأن ينصرف عن المشاركة فيها بأي صورة من الصور ولو باللسان لعموم قوله: (ويل للساعي فيها من الله يوم القيامة[١]).

٢- أن يكثر من العبادة لقول النبي ﷺ (العبادة في الهرج كهجرة إلي[٢]) وهذا عام في كل فتنة.

٣- أن ينصرف لأعماله الخاصة وتجارته ما لم تدخل في الفتنة لقوله ﷺ (ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)، ومن لم يكن له ذلك فليعتزل وليكن حلس بيته.

٤- يحاول ما استطاع أن لا يشارك فيها ولو أكره على ذلك.

٥- أن يلجأ إلى الله بالدعاء الخالص أن يكشف الفتنة عن عباده وأن ينجيه منها.

---

(١) رواه ابن حبان سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم ٤-٢٢٦٨ .

ط - جفاف بحيرة طبرية

جفاف بحيرة طبرية وانقطاع ثمر نخل بيسان ونضوب عين زغر من العلامات التي تسبق ظهور الدجال ودليل ذلك خطبة رسول اللّه ﷺ التي روتها فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وكانت بمناسبة رحلة الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه مع نفر من أصحابه حيث تاهت بهم سفينتهم في البحر حتى أتوا إلى جزيرة ووجدوا فيها الدجال موثقا بالسلاسل ودار بينهم الحوار التالي:

(. . . دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟

قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب . . .

فقال: أخبروني عن نخل بيسان.

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا له: نعم

قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة طبرية.

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر[١].

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها...

... وإني مخبركم عني إني أنا المسيح ...)[٢].

وبحيرة طبرية تقع في الشام وهي تواجه الآن نقص كبير في منسوب المياه، حيث صرح إسحاق جال - من الهيئة المشرفة على البحيرة - قائلًا: (أن منسوب المياه في بحيرة طبرية قد تناقص بشكل حاد وقد وصل مستوى المياه في البحيرة في الصيف إلى حد خطير قد يجعل المياه المالحة تلحق أضرارا بالبحيرة وبيئتها و روافدها، في الوقت الذي يزاد فيه الطلب على المياه)[٣].

كما وأن نخل بيسان قد وَصَفَهُ ياقوت الحموي بقوله عن بيسان:

---

(١) عين زغر تقع في مدينة زغر والتي تقع بجانب البحر الميت والذي كان يسمى سابقا ببحيرة زغر.

(٢) الحديث في صحيح مسلم وسيأتي في الفصل الثاني كاملا برواياته حيث أني خصصت له دراسة كاملة من حيث الشبة التي أوردها البعض عليه.

(٣) نشر هذا التصريح على موقع البي بي سي الرسمي على شبكة الإنترنت في تاريخ ١٦-٣-٢٠٠٠ وهذا عنوان موقع الخبر:
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid-679567L67900.stm

(. . .وقد رأيتها مرارا فلم أر إلا نخلتين حائلتين وهو من علامات خروج الدجال. . .[١]).

* * *

(١) معجم البلدان .

الفصل الثاني

صفات الدجال

الخَلْقِيّة وحل إشكالاتها

إن كتب السنة زاخرة بالأحاديث التي جاءت تحذر من الدجال ومن فتنته، وتبين مدة مكوثه في الأرض، ومن هذه الأحاديث كم لا بأس به بينّت صفات الدجال الخَلْقِية وهي كثيرة، ولقد حاولت حصرها بما ثبت من الأحاديث الصحيحة بقدر المستطاع، وستأتي كاملة في طي هذا البحث إن شاء اللّه.

ولكن ثمة إشكالات في ألفاظ هذه الأحاديث التي يصعب الجمع بينها فحاولت جاهدا البحث عن أقوال الأئمة السابقين في حل هذه الإشكالات، وما لم أجد له قولا عند أحد من أهل العلم اجتهدت في حلها، ونسأل اللّه التوفيق والسداد في ذلك ونبتدأ بأولها وهو:

أ- اختلاف الرواية كون الاعورار في عينه اليمنى أو اليسرى.

- روى الإمام البخاري بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في الدجال: (أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية).

- وروى الإمام مسلم بسنده عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال إن الدجال أعور العين اليسرى جُفال الشعر...).

وهنا الاختلاف واضح حيث في حديث ابن عمر رضي الله عنه أن الاعورار في العين اليمنى، وفي حديث حذيفة أن الاعورار في العين اليسرى، ولقد حاول كثير من أهل العلم التوفيق بين الروايتين، ومن أوسع من تكلم في هذه القضية الإمام ابن حجر- رحمه الله- في الفتح، فذكر طريقتين لحل هذا الإشكال:

الطريقة الأول: هي الترجيح، فقد روى الإمام مسلم حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنفس الرواية بأن العوراء عينه اليمنى، فيكون هذا الحديث متفق عليه ومقدم على حديث حذيفة رضي الله عنه.

الطريقة الثانية: الجمع بين الحديثين والروايات الأخرى، فذكر ابن حجر محاولة جمع القاضي عياض رحمه الله بين هذين الحديثين، بأن الاعورار في اللغة هو العيب والأعور من كل شيء هو المعيب، فتكون كلا العينين معابة فاليمنى عوراء ممسوحة أي التي ذهب ضوؤها، وتؤيدها رواية(طافئة)، وأما العين اليسرى فهي عوراء ناتئة وتؤيدها رواية (طافية)، وهي التي كأنها كوكب دري كما جاء في بعض الروايات.

وأيد هذا التأويل الإمام النووي في شرحه على مسلم، والقرطبي في التذكرة، وأضاف أن العين اليسرى هي التي عليها الظفرة الغليظة التي جاءت في بعض الروايات الأخرى.

وأبدى الإمام أبو العباس القرطبي في المفهم اعتراضه على هذا التأويل حيث قال: (لكن يُبْعِد هذا التأويل أن كل واحدة من عينيه جاء وصفها في الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى فتأمل).

والذي أميل إليه في حل هذا الإشكال، أن كلا عيني الدجال معابة لكن من الصعب تحديد أيهما التي عليها الظفرة الجاحظة والأخرى الممسوحة، لاختلاف ألفاظ الحديث، وإن كل وصف ورد في عين ورد في الأخرى مثله، كما قال أبو العباس القرطبي ولكن ما عليه أكثر شرّاح الحديث أن الدجال معاب العينين، واختلفوا كما سبق في

التأليف بين الروايات، ويؤكد اعورار عينيه الاثنتين حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في إحدى رواياته، حيث تقول في روايتها المثبتة في المسند: (... فدخلوا الدير، فإذا رجل ضرير ومصفد بالحديد، فقال: من أنتم؟..)[(١)] .

وفي رواية أخرى: (... فدخلوا الدير فإذا رجل أعور مصفد في الحديد ...)[(٢)].

أما قولهم في الرواية الأولى(ضرير) فلشدة قبح عينيه واعورارهما ولعلهم لشدة الدهشة حسبوه ضريرا بادئ الأمر، فلما تبدى لهم أنه يراهم ذكروا اعوراره. والله أعلم.

---

(١) المسند ٦- ٤١٢ حديث صحيح وذكر شعيب أنه اختلف في رواية (ضرير)لأنها من رواية حماد بن سلمه والله تعالى أعلم .

(٢) المسند ٦-٣٤٧ قال شعيب: إسناده صحيح .

ب- اختلاف الروايات الواردة في لون بشرته.

هل هو أبيض أم أسمر آدم، فكلا الوصفين روي عن النبي ﷺ.

جاء في المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال (أعور هجان[١]، أزهر[٢]، كأن رأسه أصلة أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هلك الهلك فإن ربكم ليس بأعور)[٣]

وجاء في المسند بسنده عن جنادة بن أمية الأزدي قال: (ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول اللّه ﷺ يذكر في الدجال، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقا.

قال: خطبنا النبي ﷺ فقال: (أنذرتكم الدجال ثلاثا، فإنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وأنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار، ومعه جبل من خبز ونهر من ماء، وأنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ولا يسلط على غيرها، وأنه يمكث في الأرض أربعين صباحا يبلغ فيها كل منهل ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى وما يشبه عليكم فإن ربكم ليس بأعور)[٤].

---

(١) هجان: ابيض (القاموس المحيط).
(٢) أزهر: أبيض، نير (القاموس المحيط).
(٣) سنده صحيح ١-٢٤٠، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد والطيالسي وابن حبان وغيرهم .
(٤) سنده صحيح ٥-٤٣٥ ، و أخرجه أيضا ابن أبي شيبة وقال عنه ابن حجر في الفتح رجاله ثقات (الفتح) شرح حديث ٧١٣٤ .

والإشكال الوارد في النصين أنه في النص الأول يصف الدجال أنه هجان أزهر، أي أبيض نير ومشرب بحمرة،كما ثبت في صحيح البخاري في رؤيا النبي ﷺ أنه وصف الدجال بأنه أحمر حيث قال: (... فإذا رجل أحمر جسيم... قلت من هذا؟ قالوا: هذا الدجال...) وفي هذا الحديث وصفه بأنه آدم أي أسمر ولاشك أن هذين الوصفين متناقضان في ظاهرهما فكيف الجمع بينهما.

حل هذا الإشكال:

ذكر ابن حجر رحمه الله في الفتح وجها للجمع بين الروايات المذكورة حيث يقول:

(...ووقع في حديث عبد اللّه بن مغفل عند الطبراني انه آدم جعد فيمكن أن تكون أدمته صافية ولا ينافي مع ذلك بالحمرة لأن كثيرا من الأدم قد تحمر وجنته)[1] وهذا الجمع لا يخلو من التكلف لاسيما أنه وُصِف بأنه أحمر، والأحمر عند العرب كما قال ابن حجر نفسه رحمه الله: الشديد البياض مع الحمرة[2] وأيضا وصفه بأنه هجان وأزهر وأقمر وقد سبق شرح معانيها.

فلا سبيل إلا الترجيح بين هاتين الروايتين- في حالة تعذر الجمع بينهما- ولاشك أن رواية الصحيحين أقوى سندا وأظهر في البيان من الرواية التي تصف الدجال بأنه أسمر[3].

---

(١) الفتح ١٣-٩٧ .
(٢) الفتح٦-٤٨٦ .
(٣) سيأتي قريباً رأيي في صفات الدجال.

ج - اختلاف الروايات في وصف خلقته:

ورد في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن تميما قال عن الدجال: (... أعظم إنسان رأيناه قط خلقا...)[١] وفي حديث الإسراء: (رأيته فيلمانيا ...)[٢] أي عظيم الخلقة.

وروى أبو داود رحمه الله عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ(... أن المسيح الدجال قصير أفحج... ....)[٣].

فهنا ظاهر الروايتين مشكل قوله (أعظم إنسان... خلقا)، وقوله(قصير).

يقول الإمام الطيبي رحمه الله : (وجه الجمع بين قوله - قصير- وبين قوله في الحديث...(أعظم إنسان رأيناه) أنه لا يبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة ويحتمل أن الله يغيره عند الخروج)[٤].

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما كما سبق بيانه.
(٢) رواه أحمد ١-٣٧٤ وقال شعيب إسناده صحيح .
(٣) رواه أبو داود (صحيح أبي داود ٥٣٢٠).
(٤) شرح الطيبي على المشكاة (١١/٣٤٦٧).

د- اختلاف الروايات فيه هل هو شاب أو شيخ؟

روى مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ في صفة الدجال أنه قال(. . . أنه شاب قطط).

وروى ابن ماجة رحمه الله في سننه من حديث فاطمة بنت قيس في روايتها عن رسول اللّه ﷺ قوله عندما دخل تميم وقومه الدير على الدجال(. . .فإذا هم بشيخ موثق . . .)(١).

و لاشك أن هناك تباينا بين الرواية التي تصف الدجال بأنه شاب والرواية الثانية التي تصف الدجال بأنه شيخ.

حل الإشكال:

- يقول الشيخ حمود بن عبد اللّه التويجري رحمه الله : وقد جاء في رواية ابن ماجة والآجري: «فإذا هم بشيخ موثق» وهذا مخالف لما في صحيح مسلم وغيره عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال في الدجال: «أنه شاب قطط» والعمدة على ما في الصحيح واللّه أعلم(٢).

---

(١) رواه ابن ماجة ٤٠٧٤ .

(٢) اتحاف الجماعة ٢/ ٣٣٠ .

رأيي في صفات الدجال الخَلْقِية:

بعد الإطلاع على صفات الدجال المشكلة وغير المشكلة - والتي ستأتي بكاملها لاحقا - اتضح لي أن الدجال كما سخر له المطر وإخراج كنوز الأرض وإحياء الموتى- فتنة للعباد-، أنه لا يستبعد أن اللّه عز وجل آتاه من القوة ما يستطيع من خلالها أن يغير من لونه فيتحول من بياض إلى سمرة، ومن شباب إلى شيخوخة والعكس، ومن قصير إلى طويل ضخم الجثة.

وكأني به يريد إقناع من يمر بهم بدعوته، فيخرج لمن كان آدم البشرة بلون أسمر ولمن كان أبيض بلون أزهر وهكذا لكسب التأييد، وهذا من الخوارق التي أوتيها، ولهذا السبب جاءت الروايات مختلفة فتارة يراه الرسول ﷺ أزهر وتارة آدم... الخ.

وسواء كانت هذه القدرة على التحول من قبيل خوارق العادات، أو باستخدام المحسنات والألوان أو المكياج مثلا، فهو يخرج للأمة السمراء بسمرته، لأنهم لا يقبلون أن يتبعوا رجلا أبيض يحمل في عروقه الطبقية والتميز، ويظهر للشباب بشبابه ليقنعهم أنه قريب منهم ومن أفكارهم... الخ.

وهذه أعمال المشعوذين والشياطين نسأل اللّه عز وجل العفو والعافية، ونستطيع أن نستشهد لمذهبنا هذا في حل إشكالات صفات الدجال وهو قدرته على التغيير من صفاته الجسمانية، بما ذكرناه سابقا وهو ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن نافع قال: (لقي ابن عمر ابن

صائد في بعض طرق المدينة، فقال له قولا أغضبه **فانتفخ حتى ملأ السكة**، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك اللّه ما أردت من ابن صائد، أما علمت أن رسول اللّه ﷺ قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها).

فيتضح من الرواية أن ابن صياد استطاع أن يغير من شكله الجسماني والذي هو عادي كباقي البشر إلي حجم آخر فيلماني!! كبير استطاع به أن يملأ السكة من انتفاخته، فإن كان هذا ابن صياد فما بالك بالدجال، هذا إن لم يكن هو![١].

غير أن هناك صفة لا يستطيع الدجال أن يغيرها وهي الصفة المتواترة في الأحاديث الواردة في ذكره، وهي اعورار عينيه إذ إنها العلامة المميزة له، وهذا مما جعل النبي ﷺ يقول بعد صفات الدجال: (... فإن **ألبس عليكم** فاعلموا أن ربكم ليس بأعور...)[٢]، وقال: (أعور هجان أزهر كأن رأسه أصلة[٣] أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، **فإما هلك الهلك** فإن ربكم ليس بأعور...)[٤] يقول الإمام ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هلك الهلك (أي فإن هلك به ناس جاهلون وضلوا فاعلموا أن اللّه ليس بأعور... فكأنه قال: فكيفما كان الأمر فإن ربكم ليس بأعور)[٥].

---

(١) سيأتي لاحقاً علاقة ابن صياد بالدجال.

(٢) صحيح الإسناد رواه أبو داود ٤٣١٢ .

(٣) جاء في لسان العرب : حية ضَخْمة عظيمة قصيرة الجسم تَثِب على الفارس فتقتله فشبه رسول اللّه ، رأس الدجال بها لِعظَمِهِ واستدارته .

(٤) رواه أحمد بسند صحيح ١/ ٢٤٠ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٠/ ٥ .

وهذه إشارة واضحة في معناها اللغوي، بأن الأمر قد يتبدل ويتغير فمهما تغير فلن تتغير تلك الصفة الملازمة له الدالة على نقصانه وقصور قدراته ألا وهي صفة الاعورار.

هذا ما هدينا إليه في صفة الدجال الخلقية فما كان فيه من صواب فمن اللّه وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان وأستغفر اللّه العلي العظيم.

* * *

موجز صفات الدجال الخَلْقِيَّة

من خلال دراستي لهذا الموضوع - حديث الجساسة - وما يتصل به، وجدت هناك صفات للدجال كثيرة، قليل من أشار إليها، ونجدها متفرقة في الكتب، وقبل أن نَلِجَ في تفاصيل خروجه يحسن بنا عرض ما صَحَّ من آثار في صفاته..

ولعلك أخي القارئ يصعب عليك أن تجدها مجموعة بهذا التبسيط في كتاب آخر، وقد جمعتها لكي تكوّن صورة قريبة لهذا المخلوق الخبيث، لأمن فتنته وكشفه كيفما تصور للخلق، لاسيما وأن سلفنا الصالح كان يحرص على تعلم صفاته وحياته توقيا من فتنته.

روى الإمام ابن ماجة رَحِمَهُ اللَّهُ قال سمعت أبا الحسن الطنافسي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول: ينبغي أن يدفع هذا الحديث - أي حديث الدجال - إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب(١).

واللّه الموفق والمسدد نسأله أن يعصمنا من هذه الفتنة العمياء المضلة هو ولي ذلك والقادر عليه.

موجز صفات الدجال الخَلقِيَّة:

١- أعور(٢).

---

(١) سنن ابن ماجة ٤ / ٤٠٨ .
(٢) أخرجه البخاري (٧١٢٣).

٢- قصير[١].

٣- جعد الشعر: شديد الجعودة ومتكسر من شدتها[٢].

٤- هجان[٣]: أبيض.

٥- أفحج[٤]: متباعد ما بين الفخذين.

٦- أزهر[٥]: أبيض مستنير.

٧- أحمر[٦].

٨- رأسه كأنه أصلة[٧]: رأسه كأنه حية، والعرب تشبه من رأسه كثير الحركة بذلك[٨].

٩- فيلمان: ضخم[٩].

١٠- شعره كأنه أغصان شجرة[١٠].

(١) صحيح سنن أبى داود (٣ / ٨١٤) الألباني.
(٢) أخرجه أحمد (٢-١٢٢) قال محققه إسناده صحيح ، والبخاري ٧١٢٨ .
(٣) أحمد (١-٢٤٠) قال محققه صحيح لغيره.
(٤) صحيح سنن أبو داود (٣ / ٨١٤) الألباني.
(٥) أحمد (١-٢٤٠) قال محققه صحيح لغيره.
(٦) البخاري (٧١٢٨)، مسلم (٢٧٧).
(٧) أحمد (١-٢٤٠) قال محققه صحيح لغيره.
(٨) جاء في لسان العرب : أَصلة بفتح الهمزة والصاد؛ قال ابن الأَنباري: الأَصَلة الأَفْعَى، وقيل: حية ضَخْمة عظيمة قصيرة الجسم تَثِب على الفارس فتقتله فشبه رسول اللّه ، رأس الدجال بها لِعظَمِهِ واستدارته، انتهى ، وسألت أحد العلماء المهتمين والمختصين بعالم الثعابين لا سيما ثعابين الجزيرة العربية وهو سوداني الجنسية وكان سؤالي له في معرض أقيم في أبها جنوب المملكة العربية السعودية خاص بالثعابين أقول سألته عن الأصلة وما تتميز به عن باقي الثعابين ؟ فقال لي تتميز عن باقي الثعابين بجحوظ عينيها ! .
(٩) أحمد (١- ٣٧٤) ت شعيب والبخاري (٧١٢٨).
(١٠) أحمد (١- ٣٧٤) ت شعيب.

١١- أجلى الجبهة[١].

١٢- عريض النحر[٢].

١٣- فيه دفا أي إنحناء[٣].

١٤- مكتوب بين عينيه كافر[٤].

١٥- جُفَال الشعر[٥]: أي كثير الشعر.

١٦- شيخ[٦].

١٧- شاب![٧][٨].

١٨- أقمر[٩].

١٩- آدم أسمر[١٠] [١١].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢-٢٩١) ت شعيب.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) البخاري (٧١٣١) مسلم بشرح النووي (٧٢٩٤).
(٥) مسلم بشرح النووي (٧٢٩٣).
(٦) رواه ابن ماجة (٤٠٧٤) بإسناد صحيح.
(٧) مسلم بشرح النووي (٧٢٩٩).
(٨) راجع ما ذكرناه سابقاً حول الإشكال في هذه الصفة.
(٩) أحمد (١-٣٧٤).
(١٠) السلسلة الصحيحة (٢٩٣٤) للألباني.
(١١) راجع ما ذكرناه سابقاً حول الإشكال في هذه الصفة.

الفصل الثالث
ظهور فتنة الدجال

أ - مكان خروج الدجال:

جاءت عدة روايات قد يكون بين ظاهرها تضاد وسنحاول إن شاء اللّه تعالى الجمع بينها:

١- قال ابن أبي شيبة في مصنفه حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي المقدام عن زيد بن وهب عن عبد اللّه قال: (يخرج الدجال من كوثى[١])[٢].

٢ - روى مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان قال: (ذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم. قلنا: يا رسول اللّه ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه واللّه خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمال،ا يا عباد اللّه فاثبتوا . . .)[٣].

٣- وجاء في المسند عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه

---

(١) منطقة بسواد العراق من أرض بابل .

(٢) أبو المقدام هو ثابت بن هرمز ، وإسناده صحيح .

(٣) صحيح مسلم ٤/٢٢٥١ .

ﷺ: (يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفا من اليهود عليهم السيجان)[١].

الجمع بين الروايات السابقة:

من الملاحظ أن في الرواية الأولى قال(يخرج الدجال من كوثى) وفي الرواية الثانية (. . .إنه خارج خلة بين الشام والعراق . . .) وفي الرواية الثالثة (يخرج الدجال من يهودية أصبهان):

فنقول إن كوثى من أرض السواد وهي غربي الفرات، وإن علمنا أن الشام يمتد طولا من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وعرضا من جبل طي إلى بحر الروم[٢]، فنستنتج من ذلك أن كوثى قريبة من الشام وهي في العراق فتكون منطقتها خلة بين الشام والعراق والله أعلم[٣].

أما قوله ﷺ أنه يخرج من يهودية أصبهان، فيعني أن بداية خروج دعوته وتأييده، بدليل أن هناك أحاديث أخرى سيأتي ذكرها أنه يتبعه من يهودها سبعون ألفا عليهم الطيالسة.

* * *

(١) المسند ٣-٢٢٤ وقال شعيب حديث حسن ، والسيجان نوع من ألبسة اليهود مشهور وهو ما يوضع على الكتف .

(٢) معجم البلدان .

(٣) وقد اتفق لي أن قرأت كتاب (اليهودية عرض تاريخي) للدكتور عبد الحميد فتاح وهو دكتور في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا حيث ذكر فرقة السامريين من اليهود فبين أن اليهود تقول أن يهود السامرة أصلهم من كوثى من العراق ولذلك عامة اليهود يسمون السامرية بالكوثيين .

ب- سبب خروجه:

يخرج الدجال بسبب غضبة يغضبها كما جاء في الحديث النبوي، فهذا المخلوق يقدّر اللّه عز وجل أن يغضب غضبة تتمكن منه شياطينه، فيكون على إثرها خروج فتنته على الأرض منطلقا من العراق من كوثى إلى أن تنتهي عند باب لد، كما أخبرنا النبي ﷺ.

فقد روى مسلم في صحيحه عن سبب خروجه: (عن نافع قال: لقي بن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل بن عمر على حفصة وقد بلغها. فقالت له: رحمك اللّه ما أردت من بن صائد أما علمت أن رسول اللّه ﷺ قال إنما يخرج من غضبة يغضبها)[١].

* * *

(١) مسلم بشرح النووي ٧٢٨٦ .

جـ - بداية فتنته من شمال بلاد فارس:

كما سبق بيانه أن بداية خروجه من العراق، ثم يبدأ المسير إلى بلاد فارس حيث يلقى هناك القبول في مدينة أصبهان، فيتبعه من يهودها سبعون ألفا يساندون آراءه ويناصرون فكره ويقاتلون دونه، كما سيأتي معنا إن شاء اللّه تعالى.

ولا عجب في ذلك فهم في انتظاره منذ مئات السنين، يتوارثون انتظاره جيلا بعد جيل، فقد قال السيوطي في الدر المنثور أخرج عبد ابن حميد وابن أبي حاتم بسند صحيح عن أبي العالية رضي الله عنه قال: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا إن الدجال يكون منا في آخر الزمانِ، ويكون من أمره فعظموا أمرَه وقالوا يصنع كذا، فأنزل اللّه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾[1] قال: لا يبلغ الذي يقول فاستعذ باللّه فأمر نبيه ﷺ أن يتعوذ من فتنة الدجال)[2].

وقد روى مسلم في صحيحه أن رسول اللّه ﷺ قال: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة[3]) ثم ينطلق إلى باقي بلاد العالم مؤلها نفسه مدعيا النبوة في بادئ الأمر وما يلبث حتى يدعي الألوهية[4].

* * *

(١) (غافر: من الآية٥٦).
(٢) الدر المنثور ٧-٣٩٤ .
(٣) هو وشاح يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل أو الخياطة ، يلبسه اليهود في صلاتهم وهو السيجان الذي سبق ذكره .
(٤) أيد هذا التدرج الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه قصة المسيح الدجال .

د - مدة بقاءه في الأرض:

عند خروج هذا المخلوق الكريه، يقدر اللَّه عز وجل أن تتغير سنته في النظام الكوني، من حيث دوران الأرض والشمس وهو أمر عظيم لم يحدث فيما نعلم من قبل، وهي آية عظيمة، وهي أكبر وأعظم الآيات التي ستحدث في ذلك العصر.

ولا شك أنها دلالة للمؤمنين على خروج الدجال وهو أن يستغرق اليوم الأول من ظهوره سنة مما نعد اليوم، بينما يستغرق اليوم الثاني شهرا كاملا، واليوم الثالث أسبوعا، ثم تعود الأيام إلى ما كانت عليه من حيث استغراق الوقت.

ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: (... قلنا: يا رسول اللَّه وما لبثه في الأرض، قال: أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول اللَّه فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم، قال: لا اقدروا له قدره ...).

وسؤال الصحابة رضي الله عنهم يدل على اهتمامهم بالصلاة وعظم قدرها في صدورهم، وأن استماعهم ليس استماع المتفكه بأخبار الغيب وعجائب الأنباء، بل كانوا يستمعون إلى الرسول ﷺ وهم في كامل اليقظة والحيطة.

وممن انتبه إلى هذه الفطنة من الصحابة رضي الله عنهم، القاضي عياض رحمه الله وغيره فيما نقله الإمام النووي في شرحه على مسلم، ويجدر بنا

نقله هنا حيث يقول: (وأما قولهم يا رسول اللّه فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم، قال لا اقدروا له قدره فقال القاضى وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى اقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر و إذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها...)[١].

ويعلم من نص الحديث أن مجموع بقائه في الأرض قرابة السنة والشهرين ونصف الشهر عصمنا اللّه من فتنته.

* * *

(١) شرح النووي على مسلم ١٨-٦٦ .

هـ - مسيره في الأرض ومبلغ دعوته:

جاءت الأحاديث النبوية مجملة في هذا الباب نوعا ما، وقام الخلاف بين بعض أهل العلم حول قول الرسول ﷺ الذي أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك(...ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة...) - وفي رواية زيادة المسجد الأقصى ومسجد الطور[١] - هل يعني هذا أنه لن يبقى مِصْرٌ لا يدخله الدجال أم المقصود دعوته.

وفي الحقيقة أن ظاهر النص يقتضي أنه سيطأ عموم الأرض بدلالة الاستثناء، غير أن هذا غير مهم بقدر الخوف من فتنته على عموم الأمة، فسواء كان هو أو أتباعه فالتحذير من الانزلاق في ضلالته على كل حال، وليس بالضرورة أن من واجهه وجها لوجه أنه سيفتتن به، فقد أخبرنا النبي ﷺ أن هناك ممن سيأتيهم الدجال بنفسه فيدعوهم فيرفضون دعوته ولا يقبلونها، ويصبرون على البلاء الذي يحل بهم، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان آنف الذكر، أن النبي ﷺ قال: (...فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت[٢] فتروح عليهم

(١) ستأتي قريبا بنصها.

(٢) وجاء في بعض الروايات أن الأرض لاتنبت له، ولعل ذلك ليس دائما، كأن يكون الأصل عدم استطاعته لكن قد يستثنى له، كالنفس التي يقتلها ثم يحييها، فقد أخبر النبي ﷺ أنه لن يقدر على غيرها، وليس معنى ذلك أن الأرض لا تنبت لمطره، بل المعنى أن الأرض لا تنبت لأمره، وقد ينبت الله عز وجل الأرض لمطر أمر به ظاهرا الدجال ولم يأمر الأرض بالإنبات، وذلك فتنة للعباد.

سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم . . .).

نعم ليس للمسلم التعمد في الذهاب إليه وهذا ما سيأتي بيانه إن شاء اللّه تعالى غير أني أريد أن أقول من خلال هذا الباب أن فتنة الدجال سواء دخلت كل بلد بشخصه أم بغيره فالخطر قائم، ويجب اتباع الإرشادات النبوية الخاصة في كيفية التعامل مع فتنته.

* * *

و - الأماكن التي نُصّ عليها بأن الدجال سيأتيها بشخصه:

لقد جاء في الأحاديث والآثار أسماء الديار التي يدخلها الدجال بشخصه، ونحن إذ نذكر هذه الأماكن لا نعني بها أنه لن يدخل غيرها بل أردنا فقط حصر ما نص عليه وإلا فقد سبق وأن تكلمنا في هذا الموضوع قريبا.

١- شمال بلاد فارس (أصبهان)[١].

٢- العراق في بابل في منطقة تسمى كوثى[٢].

٣- البصرة[٣].

٤- جنوب العراق عند جبل سنام بجانب سفوان، وجاء ذكر هذا المكان في الأثر الذي أخرجه حنبل بن إسحاق في كتابه الفتن والشاهد من الأثر أن نوف البكالي سأل رجل من أهل البصرة : (هل الى جانبكم جبل يقال له سنير؟ فقلت: سنام فقال: هو هو فقال: هل الى جنبكم نهر يقال له الصفي؟ فقلت: صفوان، فقال هو هو أما أنهما يسيران مع الدجال طعاما وشرابا...) ويشهد له ما ذكره صاحب النهاية في غريب الحديث عن كعب رَحِمَهُ اللَّهُ ونصه أن (كعبا قال لأبي عُثْمان النَّهْدِي إلى جَانِبكم جبل مُشرفٌ على البصرة يقال له سَنَام؟

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

قال: نعم، قال: فهل إلى جانبه ماءٌ كثيرُ السَّافي؟ قال: نعم قال فإنه أوّل ماءٍ يردهُ الدَّجال)[١].

٥- الحجاز عند مدينة رسول اللَّه ﷺ[٢].

٦- فلسطين عند جبل إيلياء[٣].

٧- الأردن عند عقبة أفيق[٤].

* * *

(١) كتاب الفتن لحنبل بن إسحاق ، والأثر عن نوف بن فضالة البكالي وحسن المحقق سند الرواية .

(٢) سيأتي ذكرها .

(٣) المستدرك ٤/ ٥٧٣ .

(٤) سيأتي ذكر لاحقا.

موقف المسلم من فتنة الدجال:

١- يجب على المسلم إن رأى هذا التغير الحادث في نظام حدوث الليل والنهار، وسمع بفتنته أن ينأى بنفسه ومن هم تحت ولايته عن مظانها، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فقد جاء في مسند الإمام أحمد من حديث عمران بن حصين قال: قال رسول اللّه ﷺ: (من سمع بالدجال فلينأ منه، ثلاثا يقولها، فان الرجل يأتيه يتبعه وهو يحسب انه صادق بما يبعث به من الشبهات)[١]، وفي رواية (من سمع بالدجال فلينأ منه فان الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فلا يزال به لما معه من الشبه حتى يتبعه[٢])، وكلمة (فلا يزال به) تعني أن هناك محاورات ومناقشات تتم بين الدجال أو أتباعه و هذا الذي ذهب إليه يريد عرض دعوته بما هو قائم عنده من أدلة، يحسب في ظنه أنها دليل دامغ يستطيع أن يبطل دعوى الدجال بها، غير أنه في آخر المطاف يستسلم لما معه من الشبه ويستحيل ذلك الإيمان الأول إلى كفر باللّه عز وجل والعياذ باللّه.

كما أنه يستحب لمن فر بدينه أن يأوي إلى مكة أو المدينة أو بيت المقدس أو الطور، لما رواه أحمد في المسند أن رسول اللّه ﷺ قال عن الدجال: (. . . وأنه يمكث في الأرض أربعين صباحا يبلغ فيها كل منهل ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى، وما يشبه عليكم فإن ربكم ليس بأعور)[٣].

---

(١) رواه أحمد الحديث ٤-٤٤١ وقال محققه إسناده صحيح.
(٢) رواه أحمد حديث ٤-٤٣١وقال محققه إسناده صحيح.

٢- على المسلم أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ، حيث روى مسلم من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال).

ويستحب أيضا أن يحفظ عشر آيات من آخرها، خروجا من الخلاف الذي حدث في بعض الروايات، فقد جاء في المسند من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ انه قال: من قرأ عشر آيات من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال)[1].

٣- ومن قُدِّر عليه أن يلقى الدجال فيجب عليه الصبر والمصابرة لما روى مسلم في صحيحه أن الرسول ﷺ قال (. . . يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا اللّه العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . . .).

٤- يستحب للمسلم إذا رأى الدجال أن يبصق في وجهه، فهي وصية رسول اللّه ﷺ لمن رأى الأفاك الأثيم، ففي مسند الشاميين من حديث أبي أمامة الباهلي أن الرسول ﷺ قال: (. . . فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ بفواتح (بقوارع) سورة أصحاب الكهف)[2].

٥- كما يستحب للمسلم إن دعاه الدجال إلى اتباعه أن يقول له: لست ربنا، لكن ربنا اللّه، عليه توكلنا وإليه أنبنا، نعوذ باللّه من شرك

(١) سنده صحيح أخرجه أيضا ابن أبي شيبة وقال عنه ابن حجر في الفتح رجاله ثقات (الفتح) شرح حديث ٧١٣٤ .
(٢) المسند ٦-٤٤٦ قال شعيب إسناده صحيح .
(٣) مسند الشاميين ٢/٢٨ المعجم الكبير ٨/ ١٤٦ الآحاد والمثاني ٢/٤٤٧ ورواه الحاكم وقال الذهبي على شرط مسلم .

فإن ذلك يعصمه من فتنته، ودليل ذلك ما جاء في المسند عن أحد أصحاب النبي ﷺ يقول: (إن من بعدكم الكذاب المضل، وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك - ثلاث مرات - وإنه سيقول أنا ربكم! فمن قال: لست ربنا، لكن ربنا اللّه، عليه توكلنا وإليه أنبنا، نعوذ باللّه من شرك، لم يكن له عليه سلطان)[١].

* * *

(١) المسند ٥-٣٧٢ وقال شعيب إسناده صحيح .

ح - حال المسلمين أثناء فتنته:

١- فرقة تتبعه وتنصره، روى ابن أبي شيبة في مصنفه قال: حدثنا عبد اللّه بن نمير قال حدثنا سفيان قال حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد اللّه أنه ذكر عنده الدجال فقال عبد اللّه (تفترقون أيها الناس لخروجه ثلاث فرق، فرقة تتبعه . . .)[١].

٢- وفرقة تفر منه إلى منابت الشيح في جزيرة العرب ففي تكملة الحديث السابق (. . .وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح. . .)[٢].

٣- وفرقة تقاتله ففي الحديث نفسه(. . .وفرقة تأخذ شط هذا الفرات فيقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام)[٣]، وأخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث، سمعت من رسول اللّه ﷺ يقول فيهم: سمعته يقول هم أشد أمتي على الدجال)[٤].

* * *

(١) ورواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ٤/ ٥٤١ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق .

(٤) صحيح البخاري ٢٥٤٣ .

ط - ذهابه إلى المدينة النبوية:

سنحاول ترتيب ما سيقوم به الدجال من أعمال عند قدومه إلى المدينة على ضوء النصوص النبوية:

١- يضرب رواقه ناحية جبل أحد:

جاءت روايات كثيرة تحدد المكان الذي ينزل فيه الدجال فمنها في صحيح مسلم(. . .فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه . . .)[١] ومنها عن ابن ماجة (. . .حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة. . .) وعند أبي يعلى (ركب رسول اللّه ﷺ إلى مجمع السيول فقال ألا أنبئكم بمنزل الدجال من المدينة فقال هذا منزله. . .)[٢].

وفي المسند من حديث جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه أنه ذكر أن النبي ﷺ قال: (. . .فتضرب قُبَّته - أي الدجال - بهذا الضرب الذي عند مجتمع السيول . . .)[٣] وجاء في الآحاد والمثاني لأبي بكر الشيباني رواية تجمع كل الروايات السابقة نصها أن الرسول ﷺ قال: (. . . حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة عند مجتمع السيول. . .) وبهذا يتبين موقعه بالتحديد.

٢- يتوجه الدجال عند مقدمه إلى جبل أحد فيصعده ينظر إلى مسجد النبي ﷺ هو وحاشيته، ويخبر من بحضرته أن البناء الذي

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٣١٧ .
(٢) مسند أبي يعلى ١١\٤٢٦ .
(٣) المسند ٣-٢٩٢قال محققه حديث صحيح بطرقه وشواهده.

يشاهدونه ما هو إلا مسجد النبي ﷺ، فقد جاء في المسند أن الرسول ﷺ قال مخبرا عن قدوم الدجال إلى المدينة:

(...قال يجئ الدجال فيصعد أحد، فينظر المدينة فيقول لأصحابه أترون هذا **القصر الأبيض** هذا مسجد أحمد...)(١).

وهذه الرواية من أعظم الآيات التي أخبرنا بها النبي ﷺ، حيث إن مسجده في الوقت الذي كان يحدث به أصحابه كان مبنيا من جذوع وسعف النخل، فهو أخبر بأمرين لم يحدثا في زمانه الأول أن مسجده سيعمر حتى يبدو للناظر أنه قصر منيف، والأمر الثاني أن الدجال سيأتيه على هذه الصفة، فأما ما أخبر عن مسجده حدث وأما الأخرى فلربما أننا على مشارفها .

٣- ترجف المدينة ثلاث رجفات، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج اللّه كل كافر ومنافق)، وفي رواية في المسند (...ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص)(٢).

---

(١) رواه الحاكم ٤- ٤٢٧ ، ٥٤٣ وقال على شرط مسلم ووافقه الذهبي وقال الألباني هو كما قالا إن سلم من الانقطاع .

(٢) وأخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الألباني رحمه الله : وهو كما قالا إن سلم من الانقطاع ، لكنها على كل حال لا بأس بها في الشواهد .(قصة المسيح الدجال).

٤- يخرج رجل صالح من المدينة إلى الدجال تحديا له وإثباتا لصلابة إيمانه أمام فتنته، وهذا الرجل له حكم خاص لا ندري ما سبب خروجه له مع أن النبي ﷺ نهى عن إتيانه أو التعرض لفتنته.

غير أن هذا الرجل يخرج لهذا الدجال كما جاء في الأحاديث النبوية، لعذر يراه يستثنيه من الحكم العام في ظنه.

أما قصة خروجه فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه ﷺ: (يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد، فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا، فيقول ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه.

قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول اللّه ﷺ قال: فيأمر الدجال به فيشبح فيقول خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا.

قال: فيقول: أو ما تؤمن بي، قال: فيقول أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائما، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي، فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول - أي الشاب -: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا.

قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة فقال رسول اللّه ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين).

* * *

ي - بداية النهاية:

وبعد هذه الرحلة الطويلة من البلايا والمصائب على أمة الإسلام وتشتت شملهم، وإن كانت الفترة الزمنية قصيرة لكن كما يقال المصائب تقدر بِعِظَمِها لا بوقتها.

يبدأ نجم الدجال بالأفول والاتجاه إلى الاضمحلال، عندما ينصرف من المدينة متجها إلى بلاد الشام حيث البقية الباقية من المجاهدين الذين تصدوا لكفره وزندقته، وكأنه يطمح للقضاء عليهم، حتى يستقيم له الأمر، وتخلو الساحة ممن يناصبه العداوة، ويرفع في وجهه السلاح.

يقول الرسول ﷺ، فيما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة: (يأتي المسيح من قبل المشرق، همته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يهلك ...)[(١)].

حيث تكون المعركة الفاصلة بين قوى الخير المتمثلة بعيسى بن مريم عليه السلام والمهدي المبارك محمد بن عبد الله والفئة المؤمنة، وقوى الشر المتمثلة بالدجال واليهود وممن معه من الكفرة والفسقة، الذين فضلوا ملاذ الدنيا الفانية على النعيم الأخروي الخالد.

* * *

(١) مسلم شرح النووي ٢ - ١٠٠٥ .

* حال المسلمين في بلاد الشام:

لا شك أن المسلمين في شدة لا يعلمها إلا اللّه عز وجل بسبب هذه الفتنة، وجاء في بعض الروايات أنهم في مخمصة شديدة وجوع، وإن كان في سندها ضعف لكن هذا ما تفيده القرائن بأن من لا يتبع الدجال تمسك الأرض نباتها، وتمنع السماء قطرها عنه (. . . فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم . . .).

وفي الحقيقة بعد تتبعي للنصوص، اتضح لدي أن المسلمين في الشام جماعتان، جماعة في دمشق أو نواحيها وهم الذين ينزل فيهم عيسى عليه السلام، وجماعة في بيت المقدس وهم الذين يحاصرهم الدجال بعد انسحابه من حدود المدينة النبوية، وهذا الذي فهمته أيضاً من أسلوب الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه قصة المسيح الدجال، حيث فرق بين من ينزل فيهم ويصلي المهدي به وبالمسلمين، وبين من يصلي بهم عيسى عليه السلام ثم يقتل الدجال بعد ذلك.

الجماعة الأولى: وهم الذين في دمشق حيث إنهم يكونون في انتظار نزول عيسى عليه السلام تصديقا لما أخبر به النبي ﷺ: (. . . إذ بعث اللّه المسيح بن مريم[١] فينزل عند المنارة البيضاء شرقي

(١) هناك فائدة ذكرها الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله وهي أنه عدّ روح اللّه عيسى عليه السلام =

دمشق[١]، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ)[٢].

ووقت نزوله على وجه الدقة عند صلاة الفجر في وقت يكون الدجال على حدود المدينة، وأثناء قتل العبد الصالح، أو بعيده بقليل، فمن أدرك ذلك الزمان وسمع بالدجال أنه نزل في سبخة الجرف عند مجمع السيول فلينتظر نزول المسيح من يومه أو غده.

والدليل على ذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل، والذي سبق نقل أجزاء منه، والشاهد منه (. . . ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا - وهو الشاب الذي يخرج إليه في المدينة - فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم **يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم** فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين

= صحابيا في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة حيث قال : ذكره الذهبي في التجريد مستدركا على من قبله فقال : رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء وسلم عليه فهو نبي وصحابي وهو آخر من يموت من الصحابة . . .قال ابن حجر : ويتجه ذكر عيسى خاصة لأمور اقتضت ذلك أولها : أنه رفع حيا . . .الثاني : أنه اجتمع بالنبي ﷺ ببيت المقدس على قول . . .الثالث : أنه ينزل إلى الأرض . . .فيقتل الدجال . . .فبهذه الثلاث يدخل في تعريف الصحابي . الإصابة ٤/ ٦٣٤ .

(١) قال النووي في شرحه على مسلم معلقا على ذكر المنارة : وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق . شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٢٧١ وقال ابن كثير : وقد بنيت في هذه الأعصار في سنة ٧٤١منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوته عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق . . .وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . تفسير ابن كثير ١/ ٥٥١ . .

(٢) رواه مسلم ، وننصح بقراءة كتاب للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي (الوعد الحق والوعد المفترى) فقد أجاد أثابه الله في توضيح مواقف الديانات الثلاث الإسلامية واليهودية والنصرانية من نزول المسيح عليه الصلاة والسلام .

مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين)[١]، (فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم **الصبح** إذ نزل عليهم عيسى بن مريم **الصبح**)[٢].

وبعد قدوم عيسى بن مريم عليه السلام، يدخل على الفئة المسلمة التي نزل فيها والصلاة قد أقيمت، وقد تقدم المهدي محمد بن عبد الله عليه السلام للصلاة، كما جاء في الرواية التي رواها مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة).

الجماعة الثانية: هم المحاصرون في جبل إيلات (القدس) - وهم الذين يؤمهم عيسى عليه السلام بخلاف الجماعة الأولى والتي يكون إمامها المهدي - حيث يحاصرهم الدجال وإليكم النص كاملا كما ألّفه الشيخ الألباني من عدة روايات: (ثم يأتي الدجال جبل إيلاء، فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية إلا أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله، أو يفتح لكم.

فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة صلاة الصبح فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم فيؤم الناس فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده،

---

(١) مسلم بشرح النووي ٧٢٩٩ .
(٢) رواه ابن ماجة ٤٠٧٧ .

قتل اللّه المسيح الدجال وظهر المسلمون فإذا انصرف قال افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج.

فيطلبه عيسى عليه الصلاة والسلام فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللّه بيده، فيريهم دمه في حربته فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهلكه اللّه عز وجل عند عقبة أفيق[١]).

* * *

(١) قصة المسيح الدجال للشيخ الألباني .

ك - الوضع السائد بعد مقتل الدجال في بلاد الشام:

مما لا شك فيه أنه بعد هذا القهر والاستبداد من قبل اليهود أتباع الدجال، ستكون ردة الفعل الإسلامي شديدة وقوية جدا - ومما لاشك فيه أيضا، أن ردة الفعل هذه ستكون منضبطة في حدود الشريعة الإسلامية، لاسيما وأن نبي اللَّه عيسى عليه السلام ومحمد بن عبد اللَّه المهدي، بين أظهرهم - لذلك جاء الوصف النبوي لتلك المرحلة وصفا دقيقا، وكأن رسول اللَّه ﷺ يريد إيصال رسالة، لمن يعيش في زمن القهر اليهودي والاستبداد الصهيوني - سواء في زمن الدجال أو قبيله - مضمونها بشرى لجموع المسلمين بأنهم سيتمكنون في نهاية المطاف من أعناق اليهود قتلا وإبادة وتشريدا جزاء بما قدمت أيديهم.

وليس المسلمون وحدهم، بل الأرض والحجر والشجر سيقف بجانب المسلمين في قتالهم مع اليهود، واليك ما جمعته من الروايات التي رويت عن ما قاله الرسول الكريم ﷺ في وصف تلك الواقعة:

[لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود،(فتسلطون عليهم[1]) فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول (أصل الحائط[2]) الحجر أو (جذم[3]) الشجر: يا مسلم يا عبد اللَّه (يا عبد الرحمن[4]) (تحتي كافر[5]) (مستتر بي[6])

(١) أحمد ٢/١٢١ .
(٢) ابن حبان٢٨٥٦ .
(٣) المصدر السابق.

هذا يهودي خلفي (يختبئ ورائي[١]) فتعال فاقتله، إلا الغرقد[٢] فإنه من شجر اليهود][٣].

بل جاء في بعض الروايات ولعل في سندها ضعفا لكنها تؤيد المعنى السابق(**فلا يبقى شيء مما خلق الله** عز وجل يتوارى به يهودي لا شجر ولا حجر إلا أنطق الله عز وجل ذلك الشيء[٤]) أي ليس الأمر مختصا بالشجر والحجر بل بكل ما خلق الله عز وجل وقد يدخل فيه الحيوان والحديد . . . الخ، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) المستدرك ٨٥٠٧ .
(٢) أحمد ١/ ٣٧٥ .
(٣) المعجم الكبير ٦٧٩٨ ابن حبان ٢٨٥٦ .
(٤) أحمد ٢-٥٣٠ .
(٥) ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك . النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٦٢ يقال أن اليهود الآن يزرعونه في فلسطين .
(٦) أصل الحديث عند مسلم ٢٩٢٢ .
(٧) الآحاد والمثاني ١٢٤٩ .

الفصل الرابع
أشراط الساعة التي تقع بعد مقتل الدجال

أ - قتال عيسى عليه السلام لملل الكفر:

يقاتل نبي اللّه عيسى عليه السلام ملل الكفر كلها في فترة تزيد على الثلاثين عاما[١] فيدخل في الإسلام كثير من الناس ويهلك ذكر الملل كلها إلا الإسلام وتؤمن النصارى بعيسى عليه السلام تأويلا لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

يقول الإمام إبن كثير رحمه الله في تفسيره (قوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام، ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر اللّه أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة . . . فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي

(١) سيأتي قريبا سبب تحديد هذه الفترة بهذا الرقم .

قبل موت عيسى عليه السلام، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً كلاهما أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض).

* * *

ب - خروج يأجوج ومأجوج:

ولا تنتهي قصة الصراع إلى هنا، لبقاء هذا الفصل المخيف الذي لم يمر على البشرية مثله من انتشار قوم همج لا يقيمون للعقل أي قيمة بل لا يعرفون معنى للإنسانية وحفظ كرامة بني آدم.

حيوانيون في أسلاخ بشر لا دين يحكمهم ولا عرف، شهوتهم فوق كل شيء همهم إبادة البشرية والإفساد في الأرض بل إنهم يرومون قتال الله عز وجل بزعمهم!.

والأدهى من ذلك أن الفئة المسلمة لا تستطيع مواجهة هذا الزحف الهمجي، فيدور الصراع في أرض الشام وما حولها بين الفئة المؤمنة وعلى رأسها عيسى عليه السلام وبين يأجوج ومأجوج.

بل نكون دقيقين أكثر أنه لا صراع مباشر بين الطرفين غير الدعاء الذي يكون من الفئة المؤمنة على هؤلاء المفسدين، فإنه لا يقدر أحد على ملاقاتهم وقتالهم، روى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان: (إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية[١]

---

(١) جفاف بحيرة طبرية من علامات ظهور الدجال كما ذكرنا سابقاً وستأتي رواية أخرى أن الذي تشربه قبائل يأجوج ومأجوج نهر وليس بحيرة فعلى رواية النهر لا إشكال أما هذه الرواية فلعل الماء يرجع لها بعد جفافها والله تعالى أعلم.

فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء[١]، ويُحصَر نبي اللّه عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللّه عيسى وأصحابه فيرسل اللّه عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي اللّه عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي اللّه عيسى وأصحابه إلى اللّه فيرسل اللّه طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللّه - قال ابن جابر فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فتطرحهم بالمهبل.

قال بن جابر فقلت: يا أبا يزيد وأين المهبل؟ قال: مطلع الشمس[٢]، - ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين[٣] -، -ثم يرسل اللّه مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر[٤] - أربعين يوما[٥] - فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة).

بل جاء في رواية أخرى أنهم لا يكتفون بذلك بل يريدون محاربة

(١) في الحقيقة أنه أمر مخيف ، ما يتمول به الفئام من الناس سنين يشربونه بين ليلة وضحاها! سبحان اللّه ! .

(٢) المسند (٤- ١٨١) قال محققه حديث صحيح ومن ضمنه هذه الزيادة . .

(٣) سنن الترمذي .

(٤) أيضا هذه من أشراط الساعة العظيمة حيث أن هذا المطر لا يمنعه لا بيت من الوبر ولا بيت بني من الطين وما شابهه بل يخترقة وكأنه ليس بحاجز له ، بمعنى أنه لا يستظل من هذا المطر .

(٥) المرجع السابق.

من في السماء وقتاله بزعمهم قاتلهم اللَّه، فيفتنهم اللَّه بأنهم إذا رموا حرابهم إلى السماء ترجع مخضبة بالدماء، فيتوهمون أنها أنهت من في السماء لكن لا يدوم فرحهم فيقتلهم اللَّه عز وجل قتلة يذلهم بها، وهذا جزاء كل من تكبر وتجبر في الأرض[١].

روى ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

تفتح يأجوج ومأجوج ويخرجون على الناس كما قال اللَّه (وهم من كل حدب ينسلون) وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان هاهنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليهم خضبة دما للبلاء والفتنة فبينما هم على ذلك يبعث اللَّه دودا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم فيصبحون موتى حتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هؤلاء العدو فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا لنفسه على أنه مقتول فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين

---

(١) فالمتتبع لنهاية المتغطرسين في الأرض يرى كيف أنهاهم اللَّه نهاية مخزية حقيرة، فهذا فرعون يموت غرقا بين جيوشه وجنوده ولا يستطيعون نصره، وهذا النمرود بعوضة في أنفه قتلته، وهذا أبو جهل زعيم قريش وفرعون هذه الأمة، وهو الذي كانت تهابه قلوب شجعان القوم وهو من هو، غلامان من غلمان الأنصار قضوا عليه في أولى معاركه مع المسلمين وهم في كامل قوتهم والمسلمون في ضعف شديد وهذا هتلر يموت منتحرا مسموما وقيل في موته الأقاويل . . . الخ.

ألا أبشروا فإن اللّه قد كفاكم عدوكم فيخرجون عن مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم)[(١)]، ولقد ذكر اللّه قصتهم في القرآن الكريم عند ذكر قصة ذي القرنين[(٢)]، وبناء السد دونهم حتى يحجب فسادهم وشرهم عن أهل الأرض إلى اليوم الموعود فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾[(٣)]، هذا بالنسبة لبناء السد عليهم، وهي نقطة البداية بالنسبة لحبسهم خلف السد.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٥/ ٢٤٦ قال شعيب إسناده جيد.

(٢) الذي آتاه اللّه من الملك ما آتاه ، حتى قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ ومن الأسباب تنقله في الأرض وبلوغه مشارق الأرض ومغاربها ، وجاء في روايات منها عن علي ﷺ أن اللّه بسط له السحاب في تنقله وغير ذلك ،واليوم تتكشف لنا قدرة اللّه في هذا الكون ، وينكشف لنا كثير من الأسباب التي تمكن من الانتقال بها من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق في سويعات معدودة ، فهل أعطي ذو القرنين مثل هذه الحضارة أم أعظم لعموم اللفظ ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ العلم عند اللّه عز وجل ولا يسعنا إلا السكوت حتى يثبت بذلك الدليل من تلك الروايات الكثير التي جاءت تتزاحم شارحة حال ذي القرنين وملكه ، سواء الإسلامية منها أو الإسرائيلية وكما قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق كلامه عن الأسباب التي أوتيها ذو القرنين قال : (وهذه الأسباب التي أعطاه اللّه إياها ، لم يخبرنا اللّه ولا رسوله بها ، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم ، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها ، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها ، ولكن نعلم في الجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية ، بها صار له جند عظيم ذو عدد وعدد وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها وأنحائها.

(٣) الكهف ٩٣ - ٩٧ .

أما النهاية لتهدم السد وخروجهم الموعود قال اللَّه عز وجل عنه: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[1]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[2].

وهنا رسالة لمن حكم عقله في مكان وجودهم، وتتبع الروايات الإسرائيلية والضعيفة وأقوال الإخباريين في شكل السد وطوله وعرضه، واستدل بعد ذلك بأن الأرض قد عرفت حدودها وأبعادها الجغرافية، وأن ليس ثمة مكان إلا وقد دخل تحت أضواء الأقمار الصناعية، وسنفصل الرد على هذه الشبهة التي أوردها فضيلة الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ على حديث الجساسة وذلك في الباب القادم إن شاء اللَّه تعالى، ولكن أردت هنا نقل كلام العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان في الرد على من قال إن يأجوج ومأجوج هم الروس والصينيون وغيرهم من التتر بل وجعل لهم خروجين الخروج الأول هو الغزو التتري الذي أسقط الخلافة العباسية والخروج الثاني هو في آخر الزمان وقبل نقل قول الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ اللَّهُ أقول:

١- إن هذا القول لم يسبق قائله أحد من علماء المسلمين، بل منهم من هو أقرب لحادثة الغزو التتري قد فرَّق بين خروج يأجوج

---

(١) الكهف: ٩٨ - ٩٩.
(٢) الأنبياء: ٩٦ - ٩٧.

ومأجوج وبين ما فعله التتر، ومنهم الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال في تاريخه واصفا حال التتر وإن كان هذا الوصف قبل سقوط الخلافة، غير أن ما ذكره من أمور عظيمة لا تقل عن ما حدث في بغداد، وكذلك الإمام ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي نقل كلامه ابن كثير ونصه:

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة، في هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بجنكز خان المسمى بتموجين لعنه اللّه تعالى ومن معه من التتار قبحهم اللّه أجمعين، واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها فملكوا في سنة واحدة، وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مالا يحد ولا يوصف وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال وكثيرا من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه،حتى أنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ويخربون المنازل وما عجزوا عن تخريبه يحرقوه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم، وقد بسط ابن الاثير في كامله خبرهم في هذه السنة بسطا حسنا مفصلا وقدم على ذلك كلاما هائلا في تعظيم هذا الخطب العجيب، قال فنقول هذا فصل

يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الليالي والأيام عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل إن العالم منذ خلق اللَّه آدم والى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بخت نصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج)[١].

٢- ما الذي يمنع أن يكون حالهم حال جزيرة الدجال أخفاهم اللَّه عز وجل إلى اليوم الموعود.

٣- من أين أثبتوا أن السد مكانه في أوساط آسيا عند بلاد التتر؟! ولم يثبت في ذلك دليل، وغاية ما لديهم آثار عن بعض الصحابة لا تصح، أو نقل عن بعض الإخباريين، ونقول وإن نقلها ابن كثير وغيره غير أنهم نقلوا ما سمعوا تدوينا للتاريخ فقط وإلا فإن كتابه حوى من الأعاجيب التي لا تصدق ومن الأحاديث التي لا تصح نسبتها للنبي صلى اللَّه عليه وسلم وليس هو فقط بل حتى الإمام الطبري والذهبي في تاريخه . . .الخ فهل نقلهم كاف في صحته!، وللأسف أن من

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٨٦ طبعة المعارف.

أدلتهم أنهم وجدوا أثرا لسد عظيم! بُنِيَ عند بلاد التتر وكان السد بين جبلين!!، وكأن بنيان السدود لم يعرف قبل ذي القرنين أو بعده!!.

٤- ننقل هنا كلام الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على من قال بأن يأجوج ومأجوج هم التتر والصينيون وسننقل كلامه بطوله مع شيء من الاختصار غير المخل وذلك لأهمية كلامه في هذا المقام إذ يقول: (... ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾[1]، يدل في الجملة على ما ذكرنا في تفسير آية الكهف التي نحن بصددها. وذلك يدل على بطلان قول من قال: إنهم روسية، وأن السد فتح منذ زمان طويل. فإذا قيل: إنما تدل الآيات المذكورة في «الكهف» و«الأنبياء» على مطلق اقتراب يوم القيامة من دك السد، واقترابه من يوم القيامة- لا ينافي كونه قد وقع بالفعل، كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[2].

وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: «ويل للعرب، من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها»، وقد قدمناه في سورة «المائدة». فقد دل القرآن والسنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذكر لا يستلزم اقترانه به، بل يصح اقترابه مع مهلة، وإذا فلا ينافي دك السد الماضي المزعوم الاقتراب من يوم القيامة، فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على أنه لم يدك السد إلى الآن.

(١) الأنبياء: ٩٧ .
(٢) الأنبياء ١ .
(٣) القمر: ١ .

فالجواب- هو ما قدمنا أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيا بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له، ولذلك ذكرنا أننا نتمم مثله من السنة لأنها مبينة للقرآن. قال مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: فساق الإمام الشنقيطي سند الإمام مسلم حتى بلغ عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول اللّه ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم»؟ قلنا: يا رسول اللّه، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم! إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم . . . حتى بلغ ذكر يأجوج ومأجوج بعد خروج عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - . . . إذ أوحى اللّه إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث اللّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. . .)

وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبي ﷺ: بأن اللّه يوحي إلى عيسى بن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال.

فمن يدعي أنها روسية، وأن السد اندك منذ زمان، فهو مخالف لما أخبر به النبي ﷺ مخالفة صريحة لا وجه لها، ولا شك أن كل خبر ناقض خبر الصادق المصدوق ﷺ فهو باطل، لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم، ولم يثبت في كتاب اللّه ولا سنة نبيه ﷺ شيء يعارض هذا الحديث الذي رأيت صحة سنده، ووضوح دلالته على المقصود.

والعمدة في الحقيقة لمن ادعى أن يأجوج ومأجوج هم روسية، ومن ادعى من الملحدين أنهما لا وجود لهم أصلا هي حجة عقلية في زعم صاحبها، وهي بحسب المقرر في الجدل قياس استثنائي مركب من شرطية متصلة لزومية في زعم المستدل به يستثنى فيه نقيض التالي، فينتج نقيض المقدم. وصورة نظمه أن يقول: لو كان يأجوج ومأجوج وراء السد إلى الآن، لاطلع عليهم الناس لتطور طرق المواصلات، لكنهم لم يطلع عليهم أحد ينتج فهم ليسوا وراء السد إلى الآن، لأن استثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم كما هو معلوم.

وبعبارة أوضح لغير المنطقي: لأن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم، هذا هو عمدة حجة المنكرين وجودهم إلى الآن وراء السد، ومن المعلوم أن القياس الاستثنائي المعروف بالشرطي، إذا كان مركبا من شرطية متصلة واستثنائية، فإنه يتوجه عليه القدح من ثلاث وجهات:

الأولى : أن يقدح فيه من جهة شرطيته، لكون الربط بين المقدم والتالي ليس صحيحا.

الثانية : أن يقدح فيه من جهة استثنائيته.

الثالثة : أن يقدح فيه من جهتهما معا. وهذا القياس المزعوم يقدح فيه من جهة شرطيته فنقول للمعترض: الربط فيه بين المقدم والتالي غير صحيح. فقولكم: لو كانوا موجودين وراء السد إلى الآن لاطلع عليهم الناس غير صحيح لإمكان أن يكونوا موجودين والله يخفي مكانهم على عامة الناس حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم

على الناس، ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره اللّه تعالى في سورة «المائدة» من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة. وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾(١) وهم في فراسخ قليلة من الأرض، يمشون ليلهم ونهارهم ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه، لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبينوا لهم الطريق.

وعلى كل حال، فربك فعال لما يريد. وأخبار رسوله ﷺ الثابتة عنه صادقة، وما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف ما ذكرنا ونحوه من القصص الواردة في القرآن والسنة الصحيحة، زاعمين أنه منزل في التوراة أو غيره من الكتب السماوية باطل يقينا لا يعول علينا، لأن اللّه جل وعلا صرح في هذا القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بأنهم بدلوا وحرفوا وغيروا في كتبهم، كقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(٢)](٣).

* * *

(١) المائدة: ٢٦ .

(٢) المائدة: من الآية ١٣ .

(٣) راجع أضواء البيان تفسير سورة الكهف آية ٩٨ .

ج - الأمن والأمان والوفرة الاقتصادية:

بعد هذه الفتن المتلاحقة تظهر الأرض بركاتها، وتنزل السماء ماءها، ويلقى الأمن على الأرض، حتى يتمنى كثير من الناس أن لو بعث اللّه أصحابهم وأقرباءهم ليروا هذا النعيم الذي هم فيه، فلنترك الروايات تحدثنا عن تلك الفترة:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: الأنبياء إخوة لعَلَّات[١] دينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل (إماما عادلا وحكما مقسطا[٢]) فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين مُمُصَّرَتين[٣]، فيكسر الصليب (ويمحو الصليب[٤])، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل الملل حتى يهلك اللّه في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك اللّه في زمانه المسيح الدجال الكذاب (وتضع الحرب أوزارها[٥])، (وتجمع له الصلاة[٦]).

وتقع الأمنة في الأرض، (وليتركن القِلاص[٧] فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله

(١) الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد ، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة (النهاية).
(٢) المسند ٢-٢٦٦قال شعيب حديث صحيح .
(٣) الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة (النهاية).
(٤) المسند ٢-٢٩٠ إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٥) المسند ٢-٤١١ قال شعيب إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٦) المسند ٢-٢٩٠ إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٧) القلوص الناقة الشابة (النهاية).

أحد[١]) ، (ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل وتذهب حُمَة[٢] كل ذات حُمَة وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان فلا يضره ويُراعِي الغنم الذئب فلا يضرها ويُراعِي الأسد البقر فلا يضرها[٣]).

حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا،(حتى يضع الرجل يده على رأس الحنش فلا يضره، وحتى تفر الجارية الأسد كما يفر ولد الكلب الصغير، ويقوم الفرس العربي بعشرين درهما ويقوم الثور بكذا وكذا، وتعود الأرض كهيئتها على عهد آدم[٤]، ويكون القطف - يعني العنقاد -يأكل منه النفر ذو العدد وتكون الرمانة يأكل منها النفر ذو العدد[٥])(فيومئذ يأكل النفر من الرمانة ويستظلون بقِحْفِها، ويبارك في الرِّسْلِ[٦] حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر تكفي الفخذ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت[٧])، (ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات، قالوا: يا رسول الله وما يرخص الفرس؟ قال: لا تركب

---

(١) المسند ٢- ٤٩٣ قال شعيب حديث صحيح على شرط الشيخين.
(٢) السم (النهاية).
(٣) المسند ٢-٢٦٦قال شعيب حديث صحيح .
(٤) هذا من الفوائد (الجيلوجية!) الخاصة بعلم الأرض وهو أن بداية الأرض عند وجود الإنسان كانت كثيرة النباتات والثمار .
(٥) مصنف عبد الرزاق ٢٠٨٤٣ قال الألباني إسناده مرسل صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.
(٦) اللبن (النهاية).
(٧) المسند ١٧٦٢٩قال شعيب إسناده صحيح .

لحرب أبدا قيل له فما يغلي الثور قال تحرث الأرض كلها[١]).

(وتكون السجدة واحدة لرب العالمين وتضع الحرب أوزارها وتملأ الأرض من الإسلام كما تملأ الآبار من الماء وتكون الأرض كفاثور[٢] الوَرِق يعني المائدة) فيمكث ما شاء اللّه أن يمكث (وينزل الروحاء[٣] فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما قال وتلا أبو هريرة (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه)[٤].

* * *

(١) سنن ابن ماجه .

(٢) الخوان (النهاية) وفي الأصل ماثور ولم أجد لها أصلا في اللغة .

(٣) ذكر ياقوت الحموي والإمام النووي وغيرهم أنه موضع بين مكة والمدينة على طريق الهجرة .

(٤) المسند ٢-٤٣٧ قال شعيب حديث صحيح . .

د- طلوع الشمس من مغربها:

جاءت روايات كثيرة تنذر بخروج الشمس من مغربها، في آخر الزمان، وتنص على أن الشمس إذا خرجت من مغربها، لا ينفع بعد ذلك إيمان كافر ولا توبة عاص ، إلا من سبق الشمس بإيمان وإسلام وتوبة، وهذه الروايات كثيرة جدا وهي مبثوثة في كتب السنة منها:

١- ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها[١].

٢- و روى مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوما: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا اللّه ورسوله أعلم قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث

(١) رواه البخاري.

جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول اللَّه ﷺ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا[١]).

٣- وكذلك روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب اللَّه عليه[٢]).

٤- وروى مسلم أيضا عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها[٣].

٥-وأيضا عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم،أو أمر العامة[٤].

٦-وروى مسلم عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا، فقال: ما تذكرون؟ قلنا: الساعة، قال: إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من

(١) رواه مسلم ١/ ١٣٨ .
(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٧٦ .
(٣) رواه مسلم٤/ ٢١١٣ .
(٤) رواه مسلم ٤/ ٢٢٦٧ .

مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس، قال شعبة وحدثني عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي سريحة مثل ذلك لا يذكر النبي ﷺ، وقال أحدهم في العاشرة نزول عيسى بن مريم ﷺ وقال الآخر وريح تلقى الناس في البحر[١].

٧- وعند ابن ماجة من حديث صفوان بن عسال قال: قال رسول الله ﷺ: إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا.

* * *

(١) رواه مسلم ٤/٢٢٢٦ .

إشكال حديث عبد اللّه بن عمر رضي الله عنه :

هذه جملة من الأحاديث التي رويت في طلوع الشمس من مغربها، وهناك أحاديث أخرى كثيرة رويت في هذا الموضوع، لكن هناك حديثاً في صحيح مسلم تكلم فيه أهل الحديث وهو ينص على أن أول الآيات خروجا هي طلوع الشمس من مغربها، ونصه:

(عن عبد اللّه بن عمرو قال حفظت من رسول اللّه ﷺ حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا).

الإشكال الوارد على هذا الحديث، أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ثم الدابة، فالسؤال متى نزول عيسى عليه السلام؟ وما دام توبة التائب لا تقبل عند نزول عيسى عليه السلام وهو من الآيات الكبرى فهناك تساؤل لا بد منه لماذا عيسى عليه السلام يقاتل على الإسلام مادام أن التوبة لن تقبل بحجة ظهور الشمس من مغربها؟.

وقد أجاب الإمام ابن حجر رحمه الله على هذا الإشكال فيما نقله في الفتح، ونص إجابته وأقوال أهل العلم الآخرين كالآتي: (فالذي يترجح من مجموع الأخبار، أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل

خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

وقد اخرج مسلم أيضا من طريق أبي زرعة عن عبد اللّٰه بن عمرو ابن العاص رفعه: (أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب)، وفي الحديث قصة لمروان بن الحكم وأنه كان يقول أول الآيات خروج الدجال، فأنكر عليه عبد اللّٰه بن عمرو قلت: ولكلام مروان محمل يعرف مما ذكرته، قال الحاكم أبو عبد اللّٰه الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قلت والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس، كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد اللّٰه بن سلام، ففيه وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وسيأتي فيه زيادة في باب كيف الحشر، قال ابن عطية وغيره ما حاصله: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ومن لم يعمل صالحا من قبل ولو كان مؤمنا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

وقال القاضي عياض: المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها، والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل

الإيمان الضروري بالمعاينة وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله)[١].

هل من الممكن قبول توبة الناس ودخولهم في الإسلام بعد طلوع الشمس من مغربها ولو بعد زمن بعيد؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أن من الممكن قبول التوبة والإسلام بعد طلوع الشمس من مغربها بزمن بعيد وتبدل الأجيال، ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله في الفتح ورد عليه.

وأقول إن هناك مقدمات لا بد منها في هذا الموضوع حتى يتسنى لنا الإجابة على هذا التساؤل:

١- عند طلوع الشمس من المغرب لا بد من وجود الفئة المؤمنة الصالحة، أي قبل الريح التي تقبض أرواح المؤمنين بدليل حديث الدابة التي تكون قبيل أو بعيد الشمس لتميز المؤمن والكافر، والتي سنتكلم عنها لاحقا، وللأدلة التي سقناها آنفا حول طلوع الشمس من مغربها.

٢- وإن علمنا أن الريح التي يرسلها اللّه عز وجل لقبض أرواح المؤمنين تكون بعد موت عيسى عليه السلام بأمد ليس بالطويل لقوله(. . .ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك - وهذا بعد هلاك يأجوج ومأجوج - فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل . . . **فبينما هم كذلك** إذ بعث اللّه ريحا

(١) فتح الباري .

طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)[١]، بل نصت رواية أخرى للإمام مسلم والتي رواها في صحيحه على المدة التي سوف يقضونها بعد هلاك يأجوج ومأجوج، أي الفترة الممتدة من خروج بركات الأرض إلى هبوب الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين والتي تنص على أن مدتها سبع سنين، حيث روى من حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: (. . . يبعث اللّه عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه - أي الدجال - ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة[٢]، ثم يرسل اللّه ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال: سمعتها من رسول اللّه ﷺ قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس. . .)[٣].

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٢٥٤ .

(٢) هذا وصف لحال المسلمين بعد يأجوج ومأجوج .

(٣) رواه مسلم ٤/ ٢٢٥٩ .

ومن الملاحظ أن الحديث فيه اختصار لأحداث كثيرة تحدث بعد قتل الدجال كقتال اليهود والنصارى وأمم الكفر وكسر الصليب بل حتى تصفية الجبهة الداخلية ممن كان من أتباع الدجال ثـم أحـداث يأجـوج ومأجوج ثم المطر الذي لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، بل وحالة الفقر التي تعتري الفئة المؤمنة آنذاك عندما يفتقرون للطعام ولو رأس ثور!!.

روى مسلم في صحيحه أن العصبة المؤمنة أبان اجتياح يأجوج ومأجوج لبلادهم، يعوزهم الطعام لدرجة تمنيهم للقليل منه(...ويحصر نبي اللّه عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم)، ثم بعد ذلك كله إخراج خيرات الأرض والتي بعدها ترفع العداوة من قلوب الناس وتلقى الأمنة في الأرض. أقول لا شك أن هذه الرواية اختصرت أحداثا كثيرة فيها من القتال والشدة على المسلمين ما فيها، والمذكورة في روايات أخرى.

والدليل على ذلك أنه ورد أن رفع العداوة بين الناس، إنما هو بعد هلكة يأجوج ومأجوج، ولقد ذكرنا ذلك سابقا فليراجع.

ولو سلمنا أن جميع الأحداث من هلكة الدجال مرورا بيأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها إلى هبوب الريح في سبع سنوات فماذا نفعل بالرواية الصحيحة التي رواها الإمام أحمد في مسنده والتي تقضي بمكوث عيسى عليه السلام أربعين سنة بين المسلمين!!.

ولا عبرة بمن ذهب إلى الجمع بين الروايتين، بأن عمر عيسى

عليه السلام لما رفع ثلاثة وثلاثون سنة[١]، وفي الحديث سبع سنوات فيكون المجموع أربعين سنة، لأتنا سنقول له أثبت العرش ثم انقش، فعمره عند رفعه يراد له إثبات بدليل صحيح حتى يتسنى لنا الجمع بين الروايات أما أن نجمع بين ما ثبت لدينا عن نبينا ﷺ وبين الروايات الإسرائيلية فهذا شيء غريب جدا[٢]!

وهناك أدلة صحيحة توضح الرواية السابقة بأن المقصود أن العمر الإجمالي الذي يعيشه المسيح عليه السلام هو أربعون سنة، فقد جاء في المسند (. . . حتى يأتي فلسطين باب لد فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا)[٣]بل وجاء عند ابن حبان بلفظ نحو هذا اللفظ أو أدق: (فينطلق حتى يأتي لد فينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة أو قريبا من أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا)[٤].

ومن هذا نستنتج أن ليس هناك مدى طويل أصلا بين طلوع الشمس من المغرب وبين الريح التي تقبض أرواح المؤمنين والتي بعدها سيبقى شرار الناس الذين عليهم تقوم الساعة لما جاء في المسند من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه : (. . .إذ بعث اللّه عز وجل ريحا طيبة تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم أو قال كل مؤمن ويبقى شرار

(١) وهذا القول تبناه يوسف الوابل في كتابه أشراط الساعة .
(٢) ولقد جاء بهذا الجمع يوسف الوابل أيضاً.
(٣) المسند ٦-٧٥قال محققه إسناده حسن.
(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٥-٢٣٥ قال شعيب إسناده قوي.

الناس يتهارجون تهارج الحمير وعليهم أو قال وعليه تقوم الساعة)[١]

٣- ما احتج به ابن حجر في الفتح في الرد على من قال بذلك حيث قال: (. . .وحتى تطلع الشمس من مغربها تقدم شرحه في آخر كتاب الرقاق، وذكرت هناك ما أبداه البيهقي ثم القرطبي احتمالا أن الزمن الذي لا ينفع نفسا إيمانها يحتمل أن يكون وقت طلوع الشمس من المغرب، ثم إذا تمادت الأيام وبعد العهد بتلك الآية، عاد نفع الإيمان والتوبة، وذكرت من جزم بهذا الاحتمال وبينت أوجه الرد عليه ثم وقفت على حديث لعبد اللّه بن عمرو، ذكر فيه طلوع الشمس من المغرب، وفيه «. . .فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية»، أخرجه الطبراني والحاكم، وهو نص في موضع النزاع، وباللّه التوفيق).

وبهذا يتبين لنا أن القول بأن من الممكن قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها قول ضعيف واللّه تعالى أعلم وأحكم.

* * *

(١) المسند ٤-١٨١ .

متى طلوع الشمس من مغربها؟

لاشك أنه لا يعلم متى ذلك إلا اللّٰه عز وجل، لكن هناك دلائل وإشارات وقرائن تقرب لنا الموعد المضروب لها.

ويبدو لي واللّٰه تعالى أعلم أن وقت ظهورها مع أو بعيد ظهور يأجوج ومأجوج وهذا لعدة أدلة منها:

١ - أن عيسى عليه السلام سيمكث قرابة أربعين سنة في الأرض، بعضها سيقضيها بعد يأجوج ومأجوج، ويموت ويدفنه المسلمون، فإن علمنا أن ما بين يأجوج ومأجوج والريح الطيبة سبع سنين بدلالة حديث عبد اللّٰه بن عمر آنف الذكر، فيعني ذلك أن عيسى سيمضي أكثر من ثلاث وثلاثين سنة قبل يأجوج ومأجوج في قتال ملل الكفر، من اليهود والنصارى وغيرهم.

٢- أن بعد يأجوج ومأجوج سيلقى السلم في الأرض وتتخذ السيوف مناجل ولن يسعى إلى حرب وتضع الحرب أوزارها ولا يكون بين اثنين عداوة.

٣- كما أن مذهب بعض أهل العلم، بأن باب التوبة يغلق بعد خروج يأجوج ومأجوج، فقد روى الإمام الطبري في تفسيره عن عبد اللّٰه بن عمرو يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها، وقال آخرون بل ذلك بعض الآيات الثلاثة الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها، ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون عن المسعودي عن القاسم قال: قال عبد اللّٰه: التوبة

معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث ما لم تطلع الشمس من مغربها، أو الدابة، أو فتح يأجوج ومأجوج[١] . . . حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال: قال عبد اللّه التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج)[٢].

فمن مجموع ما سبق يدل على أن القتال سيترك بعد يأجوج ومأجوج وترخص الخيل لعدم الغزو عليها أبدا -كما سبق ذكره- وذلك مع وجود نبي اللّه عيسى عليه السلام والعصبة الصالحة، وترفع العداوة بين الناس، فهذه كلها مؤشرات على عدم قبول التوبة من الناس، مما يشكل مانعا رئيسا من القتال لعدم الفائدة من دعوة الناس للتوحيد لعدم قبول ذلك منهم ، فيمكثون سبع سنين يتوفى فيهن عيسى عليه السلام ثم يمكث المسلمون بعد وفاته قليلا فترسل الريح الطيبة فتقبض باقي أرواح المؤمنين، وهذه الريح الطيبة دليل على وجود الكفار بين ظهراني المسلمين في هذه السنين السبع والتي يترك فيهن القتال.

ولعل قائلا يقول إنه روي في صحيح مسلم وعند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض).

---

(١) إسناده صحيح غير أن القاسم أرسله والقاسم هو ابن عبد الرحمن .
(٢) تفسير الطبري .

أقول أما طلوع الشمس من مغربها والدابة فلا إشكال فيهما وسنوضح ذلك أثناء حديثنا عن خروج الدابة، ولكن ذكر الدجال مع هاتين العلامتين هو ما استشكله العلماء، وذكر ذلك الاستشكال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

ووجه الإشكال هو أنه كيف إذا خرج الدجال لا تقبل توبة؟ مع أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعده سيدعو الناس إلى الإسلام والإيمان ويقاتل عليه، وهذا إشكال - أظنه -كاف للتوقف في الاستدلال به، وإن كانت الرواية التي ذكرها الطبري المذكورة آنفا، والتي تجعل بدلا من الدجال يأجوج ومأجوج أقرب، لتوافقها مع سير الأحداث لولا الإرسال في سندها.

وأنا أقول هذا - أي توقيت طلوع الشمس من مغربها - اجتهاد مني في ميدان مقارنة النصوص وتلمس أبعادها، فان صح هذا وإلا فهو هدر لا ثمن له، لكن من الواضح جليا أنها ستكون خلال هذه السنوات السبع التي تعقب خروج يأجوج ومأجوج، هذا واللّه تعالى أعلم وأحكم.

* * *

هـ - خروج الدابة:

خروج الدابة من الأشراط الكبرى للساعة، ولم يذكر في الغالب طلوع الشمس من مغربها إلا وتذكر معها الدابة، ونصت الأحاديث كثيرة على أن خروجها قريب من طلوع الشمس من مغربها.

وبغض النظر عن شكل ولون ونوع الدابة، والتي أسرف كثير من الكتّاب في سرد قصص كثيرة لا يثبت بها حديث عن النبي ﷺ، غير أننا نؤمن من حيث الجملة بخروجها لثبوت ذلك بالدليل القطعي في الكتاب العزيز: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

ولما ورد في السنة من ذكرها مثاله ما رواه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: (قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج و ثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم).

وهناك حديث آخر صححه بعض أهل العلم، وهو في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ قال: (تخرج

---

(١) النمل: ٨٢ .

الدابة فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمرون فيكم حتى يشترى الرجل البعير فيقول ممن اشتريته فيقول اشتريته من أحد المخطمين وقال يونس يعنى بن محمد ثم يعمرون فيكم ولم يشك قال فرفعه)[١] .

* * *

(١) المسند ٥-٢٦٨ قال شعيب إسناده صحيح .

إشكال في إحدى الروايات عن الدابة:

روى مسلم في صحيحه عن عبد اللّه بن عمرو قال: (حفظت من رسول اللّه ﷺ حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا).

فالحديث يوحي بأنه من الممكن أن الدابة تخرج قبل الشمس وتميز المؤمن من الكافر، مع أن التوبة مفتوحة إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وبتمييزها أصبحت التوبة معلقة بالدابة لا بالشمس!!

لذلك ذهب بعض العلماء الى أن ظهور الدابة بعد آية الشمس، وهذا لا إشكال فيه، لكن هل كان يخفى على رسول اللّه ﷺ هذه الحكمة؟.

أقول إن كلا الوقتين سيان، والأولى تجويز الوقتين وترك الترجيح بينهما، لأنهما في نظري متساويان، وذلك لأدلة منها:

١- أن اللّه عز وجل أنزل سورة المسد قبل موت أبي لهب بسنين وقضى عليه أنه من أصحاب النار - والعياذ باللّه منها - ومع ذلك كانت التوبة مفتوحة ولم يَحُل بينه وبينها أحد حكما، لكن اللّه عز وجل قضى وقدر أن لا يتوب وأخبرنا بنهايته إلى أن غرغر ومات.

٢- الأمم السابقة التي قدر اللّه عليها الهلاك كذلك، كقوم نوح فاللّه عز وجل يقول: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1].

مع أن التوبة مفتوحة ولم يذكر اللَّه عز وجل أن بابها قد أغلق، لكن سبق في علم اللَّه عز وجل أنه لن يؤمن أحد مع قبول التوبة والإيمان.

وما أريد أن أقوله إنه من المحتمل أن الدابة تخرج قبل آية الشمس لعلم اللَّه المسبق بعدم توبة أحد ويكون قريبا منها طلوع الشمس من مغربها، ولعل قائلا يقول وما الحكمة من تعليق التوبة بطلوع الشمس من مغربها مع أنه في الحقيقة سيقفل بابها قبل ذلك؟

أقول ومن قال إنه ليس ثمة فائدة أو أن الحكمة تنعدم بتقديم ظهور الدابة على طلوع الشمس! بل سيكون الممتنع هو عدم انتقال أحد من الكفر إلى الإيمان أو العكس، أما التوبة لعصاة المسلمين فإنها مقبولة إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

فالدابة تميز المسلم من الكافر فحسب، ولا تميز المذنب من المسلمين وغير المذنب، فتبقى هناك حكمة عظيمة من تعليق التوبة على طلوع الشمس من مغربها، هذا بالنسبة لكون الدابة ستخرج قبل طلوع الشمس من مغربها، أما إن كان العكس بأن الدابة تخرج بعد طلوع الشمس فلا إشكال في ذلك كما هو واضح، هذا واللَّه تعالى أعلم وأحكم.

* * *

(١) هود ٣٦ .

و- إرسال الريح الطيبة:

وهذه الفترة الأخيرة من بقاء الصالحين على هذه الأرض، كما أنها هي الفصل قبل الأخير من الحياة الدنيوية، والتي خلقها اللّه عز وجل للعابدين حيث قال في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[1] فحين يشاء اللّه عز وجل أن ينهي هذه الحياة، يزيل اللّه عز وجل السبب الذي من أجله خلقها، فيبعث اللّه عز وجل ريحا طيبة فتقبض أرواح المسلمين، ولا يترك عليها إلا القوم الكافرين وهم الذين تقوم عليهم الساعة.

إشكال في الروايات في مكان خروج الريح الطيبة.

جاء عند مسلم في حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنه الطويل ما هو نصه: (فيبعث اللّه عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل اللّه ريحا باردة من **قبل الشام**، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال سمعتها من رسول اللّه ﷺ . . .).

وجاء أيضا في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواية تخالف الرواية السابقة من حيث انبعاث الريح ونصها: (يبعث ريحا **من اليمن** ألين من الحرير، فلا تدع أحدا في قلبه قال أبو علقمة مثقال حبة، وقال عبد العزيز مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته).

---

(١) الذاريات ٥٦، ٥٧ .

ولقد جمع بينهما الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على صحيح مسلم بقوله: (وجاء في هذا الحديث يبعث اللَّه تعالى ريحا من اليمن وفى حديث آخر ذكره مسلم في آخر الكتاب عقب أحاديث الدجال ريحا من قبل الشام ويجاب عن هذا بوجهين أحدهما يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده واللَّه أعلم)، وصفة هذه الريح جاءت في حديث عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسلم: (. . .فقال عبد اللَّه: أجل ثم يبعث اللَّه ريحا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته).

* * *

قبيل النهاية:

وبعد الريح الطيبة تخلو الأرض من إقامة ذكر اللّه تعالى، فينتهي السبب الذي من أجله خلق اللّه عز وجل الإنس والجن، وفي ظني أن الأرض يبقى فيها المنافقون، والمتأسلمون! الذين يدعون الإسلام وهم بعيدون كل البعد عنه، وقد ارتكبوا من نواقضه الشيء الكثير، هذا ولو وسمتهم الدابة بسمة الكفر، أو ولدوا بعدها، غير أنهم يحسبون أنفسهم على شيء، وباب التأويل واسع عند كثير من المتفلسفة! كما نراهم اليوم ، وهم الذين يرفع من بينهم القرآن، لأنهم لا يعملون به على مراد اللّه، ويبقى أبناؤهم من بعدهم يحملون لفظ (لا إله إلا اللّه) ولا يعرفون صلاة ولا صياما ولا عملا من أعمال الإسلام.

والدليل على ذلك ما رواه ابن ماجة بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللّه ﷺ : (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب،حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب اللّه عز وجل في ليلة ؛ فلا يبقى في الأرض منه آية،وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولـون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة(لا إله إلا اللّه)؛ فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا اللّه، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، قال: يا صلة تنجيهم

من النار، ثلاثا)[١].

وقول حذيفة رضي الله عنه (تنجيهم من النار) لا يتناقض مع ما أسلفنا أنه لا يقبل بعد طلوع الشمس من مغربها توبة، لأن قولهم هذا وهو كلمة التوحيد موافق لما وُلِدوا عليه، وهي الفطرة السليمة الداعية للتوحيد، كما جاء في الأثر (كل مولود يولد على الفطرة . . .)، بينما أسلافهم[٢] الذين ورَّثوا لهم هذه الكلمة - وهم الذين وسمتهم الدابة ولم تقبضهم الريح - لم تقبل منهم آنذاك لأنهم يريدون الانتقال من الكفر للإيمان لا أنهم ولدوا على الفطرة كمن خلفهم من ذراريهم.

ثم تفنى هذه الطائفة، وترثها طائفة أخرى، يردهم الشيطان إلى عبادة الأصنام، وعليهم تقوم الساعة، لانعدام الحكمة التي خلق اللّه عز وجل من أجلها الدنيا كما سبق ذكره، ولا يوجد من يقوم بهذه العبادة المفروضة على الخلق، ولو الحد الأدنى والخيط الرفيع المتبقي معه الإيمان، وهو قول لا اله إلا اللّه مؤمنا بها.

جاء في صحيح ابن حبان بسنده عن رسول اللّه ﷺ: (لا تقوم الساعة على أحد يقول لا إله إلا اللّه) (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض اللّه اللّه)

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنه : (ثم يرسل اللّه ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم

---

(١) وصححه الألباني راجع السلسلة ١-١١٧ .

(٢) ليس ثمة نص يحدد كم بين الريح الطيبة والنفخ في الصور لكنه لا بد أن يكون قصيرا جدا بالنسبة لما مضى من الدنيا، لما ورد من آثار تدل على قصر ذلك الوقت .

دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس).

* * *

ز - وأخيرا خروج النار التي تحشر الناس:

وهي آخر أشراط الساعة، وتخرج من قعر عدن[١] تحشر الناس إلى الشام أرض المحشر، تأهيلا لقيام الساعة، وهي قبل النفخ بالصور المذكور في الفقرة السابقة، وبعد عبادة الأوثان، ورفع القرآن.

أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر، فقال؟ ماذا كنتم تتذاكرون؟ قلنا: كنا نتذاكر الساعة، فقال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، الدجال، والدخان، وعيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن أو عدن أو اليمن تطرد الناس إلى المحشر)[٢]، والمقصود بأرض المحشر، هي أرض الشام .

* * *

(١) ذكر الدكتور عبد المجيد الزنداني في كتابه (توحيد الخالق) أن عدن تقع على فوهة بركان.
(٢) قال محقق صحيح ابن حبان إسناده صحيح .

نهاية التاريخ

بعد هذه الرحلة الطويلة عبر فصول الزمن القادم، نصل أخيرا إلى نهاية التاريخ الحقيقية، كما أرادها اللّه عز وجل، لاكما توهمها فرانسيس فوكوياما!.

نأتي إلى النهاية والتي يعلنها إسرافيل(١) نافخ الصور في يوم من أيام اللّه العظيمة وهو يوم الجمعة، وعندها يغلق ذلك السفر التاريخي والذي يحوي قصة الإنسان على هذه الأرض، مذ أن هبط أبو البشر آدم عليه السلام على هذه الأرض بعد استزلال الشيطان له ولزوجه من الجنة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(٢)، مرورا بأحداث الأمم على اختلاف مشاربها وميولها، وما مر فيها من نعيم لمن آمن منها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٣)

وما مر فيها من عقاب أليم لمن كفر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٤)، ختاما بالقوم الظالمين الذين تحشرهم النار

(١) يراجع فتح الباري آخر باب الجنائز فهناك تحقيق جيد في معرفة صاحب الصور.
(٢) البقرة: ٣٦.
(٣) النحل: ٩٧.
(٤) العنكبوت: ٤٠.

وتقوم عليهم الساعة ومن ثم النفخ في الصور: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١)، ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾(٢)، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾(٣).

* * *

---

(١) الزمر: ٦٨.
(٢) النمل: ٨٧.
(٣) الحاقة: ١٣-١٨.

الفصل الثاني

دراسة لمتن حديث

فاطمة بنت قيس رضي الله عنها

توطئة

إن اللَّه عز وجل أنزل القرآن تبيانا لكل شيء، وفرقانا يفرق به بين الحق والباطل، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1].

ثم جاءت السنة الشريفة موضحة لما أشكل، وشارحة لما أجمل، فهما قطبا الإسلام، وجناحا طائره لا يعمل بأحدهما دون الآخر، ولقد تكللت بالنجاح جهود علماء الإسلام وعلماء الحديث على وجه الخصوص بجمع السنة الشريفة وتتبع أسانيدها، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من جمع وترتيب.

وكانت طريقتهم في الجمع والترتيب على عدة وجوه، فمن الكتب ما جمعت الصحيح والضعيف والموضوع، وتركت عهدة الحديث من صحة أو ضعف على رجال إسناده، ومثاله مستدرك الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قيل إنه مات قبل أن يبيض كتابه، ومن هذه الكتب ما جمعت الصحيح والضعيف خلا الموضوع، كمسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن الكتب ما اشترط مؤلفها على نفسه أن لا يضع فيها إلا الصحيح، وهذا متمثل بالصحيحين (صحيح البخاري ومسلم)- عليهما رحمة اللَّه- وليس معنى هذا الكلام أنهما نقيان تماما من أي حديث

(١) سورة إبراهيم آيه ١ .

ضعيف، لكن الأمة تلقتهما بالقبول والغالبية المطلقة من أحاديثها صحيحة بلا خلاف، وهناك بعض الأحاديث كان فيها ما فيها من ضعف في السند، أو شذوذ في المتن، تكلم عليها نقاد الحديث وعلقوا عليها ما علقوا.

وليس هذا ما نريد التكلم عنه في هذا الفصل، إنما أريد أن أقول! هل لنا بعد أن استقر الأمر على ما هو عليه في الصحيحين، وميز ما تكلم فيه سواء بالصحة أو بالضعف من قبل سلفنا الصالح على مدى ألف ومائتين سنة على الأقل، أقول هل لنا أن نحدث رأيا جديدا، ونضعف ما تلقته الأمة بالقبول على مدى هذه السنين الطوال وفيها من فيها من جهابذة العلم وفطاحلة الحديث.

إن هذا الأمر لكبير وإن خطره لعظيم، فإن كان صادرا من عالم فلكل جواد كبوة ولكل عالم زلة ولا يتابع عليها ويحذر منها، وإن صدرت من متعالم فعليه الرجوع والإنابة إلى اللّه عز وجل والرجوع إلى أقوال أهل العلم، ولْيُعْلَم أن هذا الفعل فَتْحُ بابٍ على الأمة شره مستطير، وعلى كل حال ينبغي أن يوضح هذا الخطأ ويرد وتبقى الشريعة تسير في مجراها الطبيعي.

ومن الأحاديث التي انتقدت في هذا العصر، حديث فاطمة بنت قيس الفهرية رضي الله عنها في قصة تميم الداري رضي الله عنه ورحلته البحرية إلى جزيرة الدجال، المروي في صحيح مسلم وباقي كتب السنن.

ويعلم اللّه كم ترددت في كتابه هذا الفصل ونشره لوجود أعلام كبار من الذين انتقدوا هذا الحديث، كفضيلة الشيخ العلامة محمد بن

صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

لكن كان عزائي ما قاله الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قد أوجب اللَّه تعالى على من علم علما وإن قل أن يبينه ولا يكتمه)[1]، وأن الحق أحق أن يتبع، وان الخطأ وارد على من هو أكبر مكانة وأوسع علما، وأن لهؤلاء الأعلام لفضائل يعجز القلم عن سردها ومكانة يعجز اللسان عن وصفها، ولا نقول إلا: اللَّهم اغفر لنا ولهم الزلة وبارك لنا ولهم في الصالح من أعمالنا، واهدنا إلى الصواب في أمرنا هذا وكل أمر يا رب العالمين.

اللَّهم آمين...

---

(١) القول المسدد.

هذا الفصل:

أ- هو مناقشة لجميع الشبه التي استطعت جمعها حول حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، التي ذكرت فيه قصة تميم الداري رضي الله عنه، ورحلته البحرية مع بني عمومته من لخم وجذام، وتيهان السفينة بهم في البحر، و وصولهم إلى جزيرة شرق جزيرة العرب، التقوا عليها بالجساسة والدجال وذكروا بعض صفاته وموعد خروجه.

ب- طريقتي في البحث أن أذكر الأقوال وأدلتها ثم أذكر أي هذه الأقوال أقوى وأقرب للصواب.

ج- هناك بعض الاختيارات تجمع بين الأقوال، أثبتها في محلها وبينت سبب اختيارها.

د- اعتمدت في تصحيح الأحاديث وتضعيفها على جهود فضيلة العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله وفضيلة العلامة الشيخ شعيب الأرنؤوط - في الغالب - وغيرهم من الثقات وأشرت لذلك في الحاشية.

* * *

أولا: نص حديث فاطمة بنت قيس الفهرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «كما ورد في صحيح مسلم».

قال مسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث وحجاج بن الشاعر كلاهما عن عبد الصمد «واللفظ لعبد الوارث بن عبد الصمد» حدثنا أبي عن جدي عن الحسين بن ذكوان حدثنا ابن بريدة حدثني عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول.

فقال: حدثيني حديثا سمعتيه من رسول اللّه ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره.

فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني.

فقالت: نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول اللّه ﷺ، فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول اللّه ﷺ، وخطبني رسول اللّه ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول اللّه ﷺ قال: من أحبني فليحب أسامة فلما كلمني رسول اللّه ﷺ، قلت: أمري بيدك فأنكحني من شئت، فقال: انتقلي إلى أم شريك،

وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل اللّه ينزل عليها الضيفان، فقلت: سأفعل فقال: لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإني أكره أن يسقط عنك خمارك، أو ينكشف الثوب عن

ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد اللّه بن عمرو بن أم مكتوم.

وهو رجل من بني فهر، فهر قريش وهو من البطن الذي هي منه، فانتقلت إليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادى منادى رسول اللّه ﷺ ينادي الصلاة جامعة.

فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول اللّه ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول اللّه ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك.

فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه،ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟

قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: إني واللّه ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام.

فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟.

فقالت: أنا الجساسة قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما

سمّت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟

قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟، قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حيث اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك ما أنت، فقالت: أنا الجساسة، قلنا وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان(١)؟

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر، قلنا له نعم قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة طبرية(٢)؟

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

---

(١) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي (معجم البلدان).
(٢) هي من أعمال الأردن على طرف الغور (معجم البلدان).

قال: أخبروني عن عين زغر[١]؟

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟، قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟

قلنا نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: لهم قد كان ذلك؟ قلنا نعم، قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه.

وإني مخبركم عني إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول اللّه ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟

فقال الناس: نعم

فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن

---

(١) بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام (النووي) .

المدينة ومكة ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق قالت: فحفظت هذا من رسول اللّه ﷺ)[١].

فهذا هو نص حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، والحديث على صحة إسناده واعتماد العلماء السابقين عليه وجعله دليلا لبعض آرائهم - كما سيأتي معنا - وعدم نقدهم له، إلا أنه ظهر في زماننا من يقدح به سواء بطريقة علمية معهودة وباجتهاد نرجو أن يكون مأجورا عليه، أو بطريقة عقلية بحتة لا تمت لطرق النقد العلمي الشرعي بصلة، ولقد حاولت جمع كل ما قيل (نقدا) حول هذا الحديث والرد عليه .

---

(١) أخرجه : مسلم في كتاب الفتن:
- الطبراني في الكبير ٣٨٥/ ٢٤، وما بعدها وفي الأحاديث الطوال رقم ٤٤ .
- أحمد (٦- ٣٧٣) ، (٦- ٤١٧) وروايات أخرى في مسند الراوية .
- ابن حبان في الإحسان ت. شعيب الأرنؤوط ١٥/ ١٩٥ - ١٩٨ .
- أبو د اود (٣٤٢٥) و (٤٣٢٦).
- الترمذي ٢٢٥٤ .
- النسائي ٦/ ٧٠ و ١٤٤، ٢٠٨، ٢٠٩ .
- ابن ماجة ٤٠٧٤ .
- الطيالسي في مسنده ص ٢٢٨- ٢٢٩ .
- الحميدي في مسنده (٣٦٧، ٣٦٨).
- ابن أبى شيبة في مصنفه ١٥/١٥٤، ١٨٩ .
- الدارمي في مسنده ٢٢٧٩ .
- الروياني ٢ / ٥٥٦ .
- الطحاوي في مشكل الآثار ت. شعيب ٧ / ٣٨٩ .
- الآجري في الشريعة ص ٣٧٦، ٣٧٨ .
- ابن مندة في الإيمان ١٠٥٨ .
- البيهقي ٥/٤١٦ .

ثانيا: الشبه الواردة على الحديث والرد عليها:

أ- الشبهة الأولى:

صرح بعض العلماء المعاصرين أن حديث الجساسة يعتري متنه شيء من الغرابة والشذوذ، وذلك لمعارضته بعض الأحاديث التي هي أقوى منه سندا، حيث أخرجها البخاري في صحيحه ومسلم وغيرهما من جهة، وصعوبة الجمع بينهما من جهة أخرى، ومن الذين قالوا بهذا القول فضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

ومن هذه الروايات:

أ- رواية الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي أخرجها في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء حيث قال:

إن عبد اللّه بن عمر قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام النبي ﷺ فقال: (أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) فوهل الناس في مقالة رسول اللّه ﷺ إلى ما يتحدثون في هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض» يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن.

ب- رواية الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي أخرجها في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب قوله ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض

(١) راجع كتابه فتاوى العقيدة وقد صرح في بعض أشرطة الباب المفتوح عندما سئل عن حديث الجساسة قال في النفس منه شيء وهذا من كمال أدبه مع الصحيحين رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

نفس منفوسة اليوم» حيث روى بسنده:

١- أن عبد اللّه بن عمر قال: صلى بنا رسول اللّه ﷺ ذات ليلة، صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».

٢- وأخرج أيضا مسلم بسنده عن جابر رضي الله عنه بأنه يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول، قبل أن يموت بشهر: «يسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند اللّه، وأقسم باللّه! ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة».

مدار الشبهة:

ومدار الشبهة التي أشكلت على القائلين بهذا القول أن قول الرسول ﷺ: «ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة» نكرة في سياق النفي تقتضي العموم والاستغراق فكل نفس منفوسة[١] على وجه الأرض آنذاك لن تكتمل المئة عام من مقولة النبي ﷺ إلا وقد قضى عليها الموت، فيستنتج من ذلك أن الدجال سيموت في تلك الجزيرة المذكورة في حديث تميم الداري رضي الله عنه، فما الحكمة من وجوده وخلقه مادام أنه سيموت قبل خروجه، والإفساد الذي سيتم علي يديه في هذه الأرض ونشر الفتنة التي ستعم أنحاء المعمورة؟ فيكون وجوده عبثا ولا حكمة فيه وذلك ممتنع عن اللّه عز وجل لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[٢] وهذا يؤدي

(١) أي مولودة.
(٢) سورة الدخان آية ٣٨.

إلى نكارة المتن وشذوذه.

مذاهب العلماء في رد هذه الشبهة:

القول الأول:

ذهب أصحاب القول الأول إلى الجمع بين الحديثين، حيث أنهم تتبعوا روايات قوله «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى من هو على ظهر الأرض أحد» فوجدوا فيها ما يفيد أن المقصود من قوله ﷺ هو من حضر عنده تلك الليلة، أو المقصود عامة الصحابة ﷺ فقط على أقصى معاني اللفظ .

وكانت طريقتهم هي أفضل الطرق وأنجع الوسائل في حل هذا الإشكال القائم والذي سيتضح لنا في طيّات هذا البحث عظم هذا الإشكال وكم تكلف البعض في تأويله وصرفه عن ظاهره.

أ- يقول الإمام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه قبل إيراد الحديث سالف الذكر بروايته المخصصة لعمومه المشكل:

«ذكر خبر ثان يصرح بأن عموم خبر أنس بن مالك الذي ذكرناه أريد به بعض ذلك العموم لأقوام بأعيانهم دون كلية عمومه» ثم أورد الحديث قائلا: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة عن جابر ابن عبد اللّه أن رسول اللّه ﷺ قال: (ما **منكم** من نفس منفوسة يأتي عليها مئة سنة وهي حية)[١].

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح بن حبان ت. شعيب الأرناؤوط ٢٩٩٠ .

ب- وتبعه في نصرة هذا القول الإمام ابن قتيبة رحمه الله في كتابه (تأويل مختلف الحديث) الذي ألفه في الرد على من طعن في السنة النبوية و ادعى أنها متناقضة، حيث قال: «قالوا: حديث يكذبه العيان، قالوا: رويتم عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «وذكر سنة مائة إنه لا يبقى على ظهرها يومئذ نفس منفوسة»، وهذا باطل بيّن للعيان ونحن طاعنون في سني ثلاثمائة والناس أكثر مما كانوا.

قال (أبو محمد)- أي ابن قتيبة -: ونحن نقول إن هذا الحديث قد أسقط الرواة منه حرفا إما لأنهم نسوه أو لأن رسول الله ﷺ أخفاه فلم يسمعوه ونراه بل لا نشك أنه قال لا يبقى على الأرض منكم يومئذ نفس منفوسة يعني ممن حضره في ذلك المجلس أو يعني الصحابة فأسقط الراوي منكم) وهذا مثل قول ابن مسعود في ليلة الجن (ما شهدها أحد منا غيري) فأسقط الراوي غيري، ومما يشهد على ما أقول أن أبا كدينة روى عن مطرف عن المنهال بن عمرو أن عليا رضي الله عنه قال لأبي مسعود: إنك تفتي الناس قال: أجل وأخبرهم أن الآخر شر قال: فأخبرني هل سمعت منه قال: سمعته يقول: لا يأتي على الناس سنة مائة وعلى الأرض عين تطرف فقال علي: أخطأت استك الحفرة إنما قال ذلك يومئذ لمن حضره وهل الرجا إلا بعد المائة»[1])[2].

---

(١) سنده صحيح رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال عنه رجاله ثقات ١/١٩٨ .

(٢) تأويل مختلف الحديث.

ولقد روى هذا الحديث أيضا أبو يعلى الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده حيث قال حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد اللّه أن رسول اللّه ﷺ قال: «ما منكم من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية»(١).

وأيضا روى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في مسنده رواية تساند هذا القول وتخصص الحديث العام الذي أثار هذا الإشكال حيث قال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان التيمي- عن أبي نضرة عن جابر بن عبد اللّه أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «ما منكم من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»(٢).

جـ - وأيضا ممن نستطيع أن نقول إنهم ناصروا هذا القول الإمام الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على المشكاة حيث قال بعد إيراد هذا الحديث: (معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم إلى مائة سنة، أراد به موت الصحابة رضي الله عنهم . . .)(٣).

القول الثاني: أن هذه النصوص عامة يستثنى منها ما استثناه الدليل شأنها كشأن باقي النصوص العامة التي يستثنى منها بدليل:

ولقد ذهب إلى هذا القول كثير من أهل العلم ومنهم:

أ- الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) سنده صحيح رواه أبو يعلي حديث (٢٢١٧).
(٢) المسند (٣- ٣٩٧) وقال محققه سنده صحيح .
(٣) شرح الطيبي الحديث رقم ٥٥١١ .

صاحب كتاب «المفهم» حيث قال في سياق رده على من يقول بموت الخضر عليه السلام[١].

(...وقد استدل بعض الحفاظ المتأخرين على بطلان قول من يقول: إن الخضر حي بعموم: «ما من نفس منفوسة» فإنه من أنص صيغ العموم على الاستغراق، وهذا لا حجة فيه يقينية، لأن العموم وإن كان مؤكدا للاستغراق فليس نصا فيه، بل هو قابل للتخصيص لاسيما وإن كان الخضر حيا- كما يقال- فليس مشاهدا للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا، فمثل هذا العموم لا يتناوله كما لم يتناول عيسى عليه السلام فلأنه لم يمت، ولم يقتل، فهو حي بنص القرآن، ومعناه.

وكما لم يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة على ما يأتي...)[٢].

وإن كان الإمام أبو العباس يقول بأخص من ذلك وله رأي آخر غير الذي سقناه لكن سيأتي في أقوال أخرى نذكرها بعد هذه القول إن شاء اللّه تعالى.

ب- وتبع الإمام أبا العباس في قوله تلميذه النجيب الإمام محمد ابن أحمد القرطبي رحمه الله صاحب التفسير حيث قال: ورواه أيضا من حديث جابر بن عبد اللّه قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند اللّه وأقسم باللّه ما

(١) موت الخضر هو الراجح واللّه تعالى أعلم وليس هنا مكان بسط هذه المسألة.
(٢) إكمال إكمال المعلم ٦/ ٣٦٠ .

على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة» وفي أخرى قال سالم: تذاكرنا أنها «هي مخلوقة يومئذ». وفي أخرى: «ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ» وفسرها عبدالرحمن صاحب السقاية قال: نقص العمر. وعن أبي سعيد الخدري نحو هذا الحديث.

قال علماؤنا: وحاصل ما تضمنه هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أخبر قبل موته بشهر أن كل من كان من بني آدم موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ما من نفس منفوسة» وهذا اللفظ لا يتناول الملائكة ولا الجن إذ لم يصح عنهم أنهم كذلك، ولا الحيوان غير العاقل، لقوله: «ممن هو على ظهر الأرض أحد» وهذا إنما يقال بأصل وضعه على من يعقل، فتعين أن المراد بنو آدم.

وقد بين ابن عمر هذا المعنى، فقال: يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن. ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول: إن الخضر حي لعموم قوله: «ما من نفس منفوسة» لأن العموم وإن كان مؤكدا الاستغراق فليس نصا فيه، بل هو قابل للتخصيص، فكما لم يتناول عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة[١].

ج- وذهب الإمام محمد بن خلفه الوشتاني الأبي المالكي- رحمه الله- لهذا القول في كتابه إكمال إكمال المعلم على صحيح مسلم

(١) الجامع لأحكام القران ١١/ ٤٢ .

حيث قال بعد إيراد الحديث(... كما لا يتناول- أي الحديث - عيسى عليه السلام ولا الدجال لأن عيسى عليه السلام حي وكذلك الدجال بدليل الجساسة)[١].

د- وتبعه الإمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله صاحب كتاب مكمل إكمال الإكمال على قوله أيضا.

هـ- ومن الذين ذهبوا إلى هذا القول من المعاصرين سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله حيث يقول في كتابه أضواء البيان بعد أن ساق حديث الجساسة:

(فهذا نص صحيح صريح في أن الدجال حي موجود في تلك الجزيرة البحرية المذكورة في حديث تميم الداري المذكور، وإنه باق وهو حي حتى يخرج في آخر الزمان ، وهذا نص صالح للتخصيص يخرج الدجال من عموم حديث موت كل نفس في تلك المائة.

والقاعدة المقررة في الأصول: أن العموم يجب إبقاؤه على عمومه، فما أخرجه نص مخصص خرج من العموم وبقى العام حجة في بقية الأفراد التي لم يدل على إخراجها دليل. كما قدمناه مرارا وهو الحق ومذهب الجمهور، وهو غالب ما في الكتاب والسنة من العمومات يخرج منها بعض الأفراد بنص مخصص، ويبقى العام حجة في الباقي، وإلى ذلك أشار في مراقي السعود في مبحث التخصيص)[٢].

---

(١) إكمال إكمال المعلم ٦/ ٣٦٠ .
(٢) المجلد الرابع/ ١٩٢ .

القول الثالث: أن المقصود من الحديث أمة محمد ﷺ.

وهو أن جميع بني آدم أمته سواء كانوا مسلمين أو كفارا لأن المسلمين أمة إجابة، والكفار أمة دعوة والدجال لا يدخل لا في هذه ولا تلك.

وممن قال هذا القول الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه عمدة القارئ شرح صحيح البخاري وذكر قوله بعد أن أورد بعض الأقوال في صرف الحديث عن ظاهره حيث قال:

(... قلت هذه كلها تعسفات ولا يرد على هذا لا بعيسى عليه الصلاة والسلام ولا بإبليس فإن مراده ﷺ ممن هو على ظهر الأرض (أمته)والقرائن تدل على ذلك منها قوله: «أرأيتكم ليلتكم هذه» وكل من على وجه الأرض من المسلمين والكفار أمته أما المسلمون فإنهم أمة إجابة وأما الكفار فإنهم أمة دعوة، وعيسى والخضر عليهما السلام ليسا داخلين في الأمة، وأما الشيطان فإنه ليس من بني آدم)[1].

القول الرابع: بأن (ال) التي في قوله (الأرض) للعهد وليست للجنس أي المقصود بذلك جزيرة العرب خاصة ومن عليها، وممن ذهب إلى هذا القول الإمام أبو العباس القرطبي وتلميذه أبو عبد اللّه القرطبي صاحب التفسير، ذلك مع قولهم بأن الحديث عام أريد به الخصوص كما ذكرناه آنفا في سياق صرف الحديث (ما من نفس...) عن ظاهره حيث يقول الإمام أبو العباس:

(١) عمدة القارئ٢/١٧٧ .

يتناول هذا العموم عيسى، لأن اللّه قد رفعه إليه، فليس هو على ظهر الأرض.

لأن المراد بذلك العموم: من كان من النفوس على ظهر الأرض، كما نص عليه في حديث ابن عمر.

فالجواب: يمنع عموم الأرض المذكورة فيه، فإنه اسم مفرد دخل عليه الألف واللام، وهي محتملة للعهد والجنس، وهي ها هنا للعهد، لأن الأرض التي يخاطبون بها، ويخبرون عن الكون فيها: هي أرض العرب، وما جرت عادتهم بالتصرف إليها وفيها غالبا، دون أرض يأجوج ومأجوج، وأقاصي جزائر الهند والسند، مما لا يقرع السمع اسمه، ولا يعلم علمه[١].

القول الراجح:

يلاحظ القارئ الكريم التباين في الأقوال السابقة من حيث تأويل الحديث لكنهم متفقون على أن الحديث لم يرد منه ظاهره على الإطلاق بل لابد أن يؤول.

وفي نظري أن القول الأول هو الراجح من هذه الأقوال ويردفه في القوة القول الثاني ولولا وجود النص في القول الأول لكان الثاني هو أقوى الآراء لقوة ما ذهبوا إليه.

وترجيح القول الأول يرجع لعدة أسباب منها:

أ- وجود النص الصحيح الصريح في أن النبي ﷺ لم يرد من قوله

---

(١) المفهم ٦/٤٩٠ .

العام إلا عموم الصحابة ﷺ ، هذا إن لم نقل أنه أراد من حضر مقالته فحسب، لتخصيصه ﷺ الصحابة في رواية أحمد وابن حبان بقوله (منكم).

لكن ثمة أمر يجعلني أستريح لمن ذهب إلى أنه أراد عموم من صحبه آنذاك، وذلك لتعدد المقامات التي ذكر فيها النبي ﷺ هذا الخبر، فتارة لما كان راجعا من تبوك وتارة بعد صلاة العشاء في المدينة، وغير ذلك فالذي حضر هناك قد لا يحضر هنا ومن سمعها في ذلك المقام قد لا يسمعها في هذا المقام فيكون قصد النبي ﷺ في قوله: ما منكم من نفس منفوسة...» أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

أما القول الثالث الذي قال: إن المراد البشرية كلها من أمة محمد ﷺ، وقسمها إلى أمتي إجابة ودعوة فقد أبعد النجعة وقد تكلف في ذلك.

وأما القول الرابع بأن(ال) للعهد والمقصود بها أرض العرب لا سواها فيقول الإمام ابن حجر في «الفتح »: (وأبعد من قال: إن اللام في الأرض عهدية والمراد أرض المدينة والحق أنها للعموم وتتناول جميع بني آدم»[1] وبالطبع لولا وجود النص لكان كما قال الإمام ابن حجر رحمه الله ، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) فتح الباري ح ٦٠١ .

ب - الشبة الثانية:

تمهيد:

بعد الغزو الصليبي لبلاد الإسلام وتقسيمها شذر مذر، وتحطيم شوكة الخلافة الصورية آنذاك لم يكن الغازي يحمل في جعبته مدفعا ورشاشا فحسب بل كان يحمل معه سلوكيات هابطة وأفكارا منحرفة سمم بها عقول أبناء الشعوب الإسلامية، مما سبب لها اضطراباً في الموازين وتناقضا في الأفكار.

فخرجت على ساحتنا العلمية نماذج لا نستطيع ضبطها على معيار معين، أو جعلها في أطر محددة تحدد معالم شخصيتهم العلمية، بل كانوا أشكالا هلامية سريعة التغير والتقلب، وكل رمز من هذه الرموز يختلف مدى تأثره بهذه الحضارة المتهافتة باختلاف اتصاله بها.

فمن رُبي بين أحضانها ورعى من حقولها كان شديد التأثر بها، إلى درجة أن لا يقول إلا بقولهم وأن لا يعمل إلا بعملهم.

أما من كان بين صفوف إخوانه المسلمين، ولم يتصل بتلك الحضارة إلا عن طريق كتبهم وصحفهم- وهي خطر عظيم- كان أقل منهم تأثرا(١).

وكان ممن تأثر بفكر هذه الحضارة فضيلة الشيخ محمد عبده، وتلميذه فضيلة الشيخ محمد رشيد رضا- رحمهما اللّه تعالى-، مع

---

(١) للاستزادة يراجع كتاب الانحرافات العقدية بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر لبخيت الزهراني، وكتاب العصرانيون لمحمد الناصر ، وكتاب العلمانية للشيخ سفر الحوالى .

الفارق الكبير بمستوى التأثر بين الشيخين.

ومما لاشك فيه أننا لا نقدح في نيّاتهما ولا مقاصدهما - ونحسب فيهما الإخلاص - لكن بسبب معاشرتهم لأرباب أفكار التحرر ومن شاكلهم، وخاصة في وقت كان فهم الفكر الإسلامي السامي في أدنى مستوياته بسبب انهزام الدولة الإسلامية أمام جحافل الاستعمار، وفي ظل انبهار العالم الإسلامي بالتقدم العلمي الأوروبي.

ففي كل يوم بعد يوم يبهر العالم بمخترعاته، ويفاجئهم بقواعده ونظرياته العلمية، لذلك - في ظني - تأثروا بهذا التفكير[١] ونحو بأفكارهم منحى خطيرا.

ولا نغض من حق الشيخين فيما قدماه للإسلام، لاسيما الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه لبعض رسائل شيخ الإسلام ودفاعه عن عقيدة السلف، وغير ذلك مما قدمه عبر مجلته «المنار» لكن كما قيل لكل عالم زلة ولكل جواد كبوة والحق أحق أن يتبع[٢].

ووجه تأثير الحضارة الغربية على هذه الفئة من خلال أنه لابد أن ترضخ جميع أفكارنا ومعتقداتنا للعقل وأن نسيرها حسب مجراه وأن ما لم تتقبله عقولنا- على قصورها- نرفضه أو نأوله على أقل تقدير.

وهذا المنهج يشابه إلى حد كبير منهج المعتزلة في تعاملهم مع

---

(١) ونحن نلتمس لهم الأعذار ، لا نعذرهم عذرا يرفع عنهم كامل الملامة ، لكن لهم ما قدموا من خير وغفر الله لهم ما فعلوا من سوء ، كما أنه يجب التحذير من هذا التوجه .

(٢) مما لا شك فيه أن الشيخ محمد رشيد رضا كان أقل تأثرا وبفارق كبير عن شيخه محمد عبده.

النصوص وكما يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه القيم(التفسير والمفسرون) عن هذه المدرسة:

(أما ما نأخذه على هذه المدرسة فهو أنها أعطت لعقلها حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب. استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة اللّه وصلاحيتها لكل ممكن.

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودا عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في بعض الأحاديث: تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم، وهما أصح الكتب بعد كتاب اللّه تعالى بإجماع أهل العلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة، في كل ما هو من قبيل العقائد، أو من قبيل السمعيات، مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يستهان بها)(١).

ونحن لسنا في مقام الرد على أفكار هذه المدرسة العقلية إلا بقدر تناولهم للحديث الذي نحن بصدد الذب عنه وتبرئة ساحته من كل الشبه المثارة عليه.

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٦٠٤ .

نقد الشيخ محمد رشيد رضا لحديث الجساسة:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره الذي نقله عن شيخه محمد عبده أثناء كلامه عن ابن صياد هل هو الدجال أم لا؟

(... إن في روايات هذه الحكاية اختلافات أخرى كقوله في أطولها عن تميم «أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة» وقوله في رواية أخرى «حدثني تميم الداري أن أناسا من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم انكسرت بهم فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة إلى (سفينة)[1] في البحر» وفي رواية «إن بني عم تميم الداري ركبوا في البحر» وفي رواية: «أنه ركب البحر فتاهت به سفينة فسقط إلى جزيرة فخرج إليها يلتمس الماء فلقي إنسانا يجر شعره» وهذه الروايات كلها في صحيح مسلم والاختلافات فيها متعددة كما ترى، وفي سائر الروايات ما يزيد على ذلك.

وجملة القول في حديث الجساسة أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع، وأنه على تقدير صحته ليس له كله حكم المرفوع.

وكذا يقال في سائر أحاديث الدجال المشكلة التي انتقدها الحافظ في الفتح من جهة صناعة علم أصول الحديث وتعارض المتون أو

(١) هكذا في الأصل والصواب جزيرة.

مخالفتها للواقع وعد من علل بعضها احتمال كونها من الإسرائيليات.

فقد ذكر ما أخرجه نعيم بن حماد شيخ البخاري في كتاب الفتن من طريق جبير بن نفير و شريح بن عبيد وعمرو بن الأسود وكثير بن مرة قالوا جميعا: الدجال ليس هو بإنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه: سليمان النبي أو غيره؟ فإذا آن ظهوره فك اللّه عنه كل عام حلقة، فإذا برز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعا يضع على ظهرها منبرا من نحاس ويقعد عليه ويتبعه قبائل الجن يخرجون له خزائن الأرض».

قال الحافظ بعد إيراد هذا: (قلت) ولا يمكن معه كون ابن صياد هو الدجال ولعل هؤلاء مع كونهم ثقات تلقوا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب(١).

مدار الشبهة:

أن الحديث متناقض برواياته فتارة يكون هو تميم الذي كان في السفينة مع قوم من لخم وجذام وتارة يكون من في السفينة من بني عمومته وتارة يكونون رجالا مجهولين وأثناء الحديث تارة تكون الجساسة دابة كثيفة الشعر، وتارة تكون إنسانا وغير ذلك فهذا الحديث خليق به أن يكون مصنوعا موضوعا وفي أفضل أحواله هو من الروايات المتلقاة من أهل الكتاب.

---

(١) تفسير المنار ٩/٤٩٦ .

الرد على هذه الشبهة أو الشبه:

أولا: دعوى أن صدر حديث تميم متناقض برواياته المختلفة:

أ -(. . . حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام. . .)(١).

ب -(النبي ﷺ وهو على المنبر يخطب فقال: إن بني عم لتميم الداري ركبوا في البحر. . .)(٢).

ج- قدم على رسول اللّه- ﷺ- تميم الداري فأخبر رسول اللّه - ﷺ- أنه ركب البحر فتاهت به سفينته. . .)(٣).

د - أن رسول اللّه- ﷺ- قعد على المنبر فقال أيها الناس حدثني تميم الداري أن أناسا من قومه كانوا في البحر. . .)(٤).

هـ - أن النبي ﷺ صعد المنبر فضحك فقال: إن تميما الداري حدثني بحديث ففرحت فأحببت أن أحدثكم به، أن أناسا من أهل فلسطين ركبوا في سفينة في البحر. . .)(٥).

نقول بعد سرد هذه الروايات: إن علماءنا رحمهم اللّه لا يحكمونْ على الحديث بالتناقض لاختلاف رواياته إلا عند تعذر الجمع بين تلك الروايات، بل وعند تعذر الجمع لا يحكمون عليها بالبطلان

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٢٦٢ .
(٢) المرجع السابق ٤/ ٢٢٦٥ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق٧٣١٥ .
(٥) رواه الترمذي ٢٣٥٤ .

أو بالاضطراب إلا عند تعذر ترجيح إحدى الروايات على الأخرى وهذا مشهور في كتب الأصول.

يقول الإمام الزركشي في كتابه البحر المحيط عند كلامه عن من يقول في حديثين أنهما متعارضان: (وأما التعارض في نفس الأمر بين حديثين صحيحين فغير صحيح.

قال ابن خزيمة: لا أعرف أنه روي عن الرسول حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، ومن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما. وقال الشافعي في «الرسالة»: ولم نجد حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج، أو على أحدهما دلالة إما موافقة كتاب اللّه أو غيره من السنة أو بعض الدلائل- انتهى)[١].

وحديث الجساسة روي بأسانيد صحيحة لاسيما وأنه في صحيح مسلم، وقبل أن نشرع في الجمع بين روايات صدر حديث الجساسة، لا بد وأن نعرف أن منشأ الخلاف بين الروايات -ليس في حديث الجساسة فحسب إنما في أغلب الأحاديث- يرجع إلى اختلاف الرواة وطريقة تلقيهم وحفظهم، وأن كثيرا من الرواة يذكر الحديث بالمعنى.

وقد يذكر الراوي الحديث نصا ويذكر معناه لتقريبه لأذهان السامعين فيحفظ من يحفظ فيهم المعنى وينسى النص وآخرون يحفظون الحديث نصا كما جاء، ولذلك تجشم كثير من علمائنا وأسلافنا الجمع بين الروايات، كالإمام الشافعي في كتابه اختلاف

(١) البحر المحيط للزركشي ٦/ ١٤٩ .

الحديث، والإمام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث والإمام الطحاوي في كتابه حل مشكل الآثار وغيرهم.

أ- الجمع بين روايات صدر حديث تميم.

بناء على ما سبق فإن الناظر بتمعن في روايات حديث تميم، يلاحظ عدم التناقض بينها، حيث إن الروايات بمجموعها تفيد بأن تميما الداري وأناسا من فلسطين من قبيلتي لخم وجذام[١] وهما بني عمومة تميم الداري ركبوا في سفينة بحرية... الخ.

فالرواة تارة ذكروا تميما مع من كان في السفينة، وتارة أغفلوه، و تارة قالوا بني عمومته، وتارة ذكروا نسبهم وأغفلوا قرابتهم من تميم، وتارة نسبوهم لأرضهم فلسطين، فبمجموع طرق الحديث يتبين لنا وجه الجمع السابق الذكر، وهذا أمر معهود معروف في علم الحديث، ولو تمعن الطاعن لما وجد لمطعنه سبيلا.

ب- الجمع بين روايات رؤية الجساسة:

أ- (... فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة..! الخ)[٢].

ب- (... فلقي إنسانا يجر شعرة...)[٣].

---

(١) قبيلتان من اليمن من أبناء كاهل هاجروا إلى الشام واستوطنوها قبل تحطم سد مأرب. راجع الأنساب للسمعاني والرحيق المختوم وغيرهما من الكتب.

(٢) رواه مسلم ح- ٧٣١٢، ٧٣١٤ .

(٣) رواه أبو داود .

ج- (. . . فإذا أنا بامرأة تجر شعرها . . .)[١].

د-(. . . فإذا هم بدابة لباس ناشرة شعرها . . .)[٢].

هـ-(. . . فإذا هم بشيء أهدب، أسود كثير الشعر. . .)[٣].

والجمع بين هذه الروايات لا يتطلب كثير عناء أو إجهادا في فكر فالدابة: اسم لما دب من الحيوان مميزة وغير مميزة(عاقلة وغير عاقلة) وفي التنزيل العزيز: (واللّه خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه. . .) ولما كانت لما يعقل ولما لا يعقل قيل فمنهم ولو كان لما لا يعقل لقيل فمنها. . .[٤].

وهذا يعني أن الإنسان يدخل في هذا اللفظ، ولفظ امرأة يدخل في معنى الإنسان فالحاصل أنه لا إشكال في هذه الروايات فكل امرأة إنسان وكل إنسان يدخل في عموم لفظ دابة فأين التناقض.

وهناك وجه آخر لعل تميما الداري ﷺ قال في سياق قصته أنه رأى دابة كثيرة الشعر فلما قربت منه ميز وعلم أنها امرأة، فمن الرواة من روى لفظ دابة واقتصر عليه، ومنهم من روى لفظ امرأة وما هذا الاختلاف إلا تصرف من الرواة ونقلة الحديث، فمنهم من يأتي بمعنى ما سمع وبعضهم ينقل الحديث كما سمعه.

ولكي لا نطنب في هذه المسألة أدعو كل من لديه شبه تعارض

---

(١) رواه أبو داود!٤٣١٧ .

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجة ٤٠٧٤ .

(٤) لسان العرب .

بين حديثين أن لا يتسرع في الحكم لأول عقبة بل عليه أن يتريث وأن ينظر في كتب العلم ويسأل العلماء الثقات فإنه مازال يملك زمام كلمته ما لم تنفلت من بين شفتيه فإن انفلتت فأنّى يدركها!!.

ب- في كلام الشيخ محمد رشيد رضا إيهام لعله لم يقصده، وهو أن الإمام ابن حجر انتقد حديث الجساسة حيث قال الشيخ رشيد رضا(وجملة القول في حديث الجساسة أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع... وكذا يقال مع سائر أحاديث الدجال المشكلة التي انتقدها الحافظ في الفتح من جهة صناعة علم أصول الحديث وتعارض المتون أو مخالفتها)[١].

والذي يتتبع كلام الإمام ابن حجر في فتح الباري[٢]، يقطع بأن ابن حجر- رَحِمَهُ اللَّهُ- لا يذهب إلى تضعيفه أو نقده أبدا، إنما يحاول الجمع بينه وبين ما يظهر من معارضته لأحاديث ابن صياد تارة، وتارة أخرى يضعف ما يعارضه من أحاديث، وسيأتي قول ابن حجر في هذا البحث في الرد على الشبهة الثالثة إن شاء اللّه تعالى.

* * *

(١) تفسير المنار الجزء٩ ص ٤٩٦ .
(٢) راجع فتح الباري الحديث ٧٣٥٥ .

ج - الشبهة الثالثة:

وهذه الشبهة أوردها فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث حيث قال:

(وهاكم موقفا آخر من واعظ يحب الحكايات ويستنصت الناس بما تحوي من عجائب!

قال: إن الدجال موجود الآن في إحدى الجزر ببحر الشام أو بحر اليمن، مشدود الوثاق، وقد رآه تميم الداري بعد ما غرق في السفينة التي كان يركبها هو وصحبه، وتحادثوا معه، وهو موشك على الخروج!

وقد حدثت بذلك فاطمة بنت قيس في سياق طويل!

قال لي طالب يسمع الدرس: هل يمكن أن نذهب في رحلة إلى هذه الجزيرة لنرى الدجال؟ قلت له: وماذا تفعل برؤيته؟ الدجالون كثيرون، وإذا تحصنت بالحق نجوت منهم ومن كبيرهم عندما يخرج!

قال: ألم يزر أحد هذه الجزيرة بعد تميم الداري؟ فآثرت السكوت، وصرفت الطالب عن الموضوع بلباقة.

إن أساطيل الرومان والعرب والترك والصليبيين تجوب البحرين الأبيض والأحمر من بضعة عشر قرنا ولم تر هذه الجزيرة.

وفي عصرنا هذا طرق كل شبر في البر والبحر، والتقطت صور لأعماق المحيطات عن طريق الأقمار الصناعية! فأين تقع هذه الجزيرة؟

وأخيرا تذكرت كلمة عمر بن الخطاب وهو يرد حديث فاطمة بنت قيس في نفقة المطلقة ثلاثا، قال: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لحديث امرأة لا ندري حفظت أم نسيت؟.. قلت: ونحن لا نعرض كتاب ربنا وسنة نبينا للتكذيب من أجل حديث السيدة نفسها، في قضية أخرى!.

يجب أن تسير قافلة الكتاب والسنة دون عائق)[١].

توطئة:

الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ أثار ضجة كبيرة وسعت عالمنا الإسلامي بل وصلت إلى أقطار غربية بإصداره لهذا الكتاب، الذي سماه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث مما أثار حفيظة كثير من العلماء للرد عليه، سواء بخطبة أو بمقالة أو بكتاب... الخ لما احتواه كتابه من اجتهادات خرجت عن الخط العام للأصول والقواعد الفقهية والحديثية، وما كتاب(حوار هادئ مع محمد الغزالي) لفضيلة الشيخ سلمان العودة إلا أحد الأمثلة على تلك الكتب والمقالات والمذكرات التي تصدى أصحابها للرد على هذا المُؤَلف.

لكن لا يهمنا حقيقة من هذا الكتاب في هذا البحث إلا ما يخص هذا الحديث، والشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ بلا شك قد تأثر بالمدرسة آنفة الذكر التي تأثر بها سلفاه محمد عبده ومحمد رشيد رضا- رحمهما اللّه- كما يظهر هذا في كتاباته وأطروحاته العلمية، وما سبق ذكره من

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ٢٥٣، ٢٠٤ .

قوله حول حديث الجساسة مثال حقيقي ودليل صريح على مدى تأثره بهذه المدرسة وسيكون هذا الأمر أكثر وضوحا في سياق الرد على هذه الشبهة إن شاء اللّه تعالى.

أولا: من فاطمة بنت قيس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟

هي فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس، وهي أسن منه. قال أبو عمر: كانت من المهاجرات الأول، وكانت ذات جمال وعقل، وكانت عند أبي بكر بن حفص المخزومي فطلقها فتزوجت بعده أسامة بن زيد[١].

وقال عنها الإمام ابن القيم- رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه تهذيب السنن(وفاطمة امرأة جليلة من فقهاء الصحابة غير متهمة في الرواية).

ثانيا: مناقشة قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أم نسيت)؟

أ- هذا القول اجتهاد لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد وافقه عليه بعض الصحابة وخالفه البعض وممن خالفه علي بن أبي طالب وجابر بن عبد اللّه و عبد اللّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ومن بعدهم عطاء وطاوس والحسن وعكرمة وميمون بن مهران وإسحاق بن راهويه وداود بن علي وأكثر فقهاء الحديث.

ب- هل قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشكل مطعنا في هذه الصحابية الجليلة؟

يقول الإمام الشوكاني- رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه نيل الأوطار: (فإن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة فاطمة بنت قيس .

قلت) إن ذلك القول من عمر يتضمن الطعن على رواية فاطمة لقوله (لقول امرأة لا تدري لعلها حفظت أو نسيت).

قلت: هذا مطعن باطل بإجماع المسلمين، للقطع بأنه لم ينقل عن أحد من العلماء أنه رد خبر المرأة، لكونها امرأة فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول عن امرأة واحدة من الصحابة وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة، ولم ينقل أيضا عن أحد من المسلمين أنه يرد الخبر بمجرد تجويز نسيان ناقله ولو كان ذلك مما يقدح به لم يبق حديث من الأحاديث النبوية إلا وكان مقدوحا فيه، لأن تجويز النسيان لا يسلم منه أحد فيكون ذلك مفضيا إلى تعطيل السنن بأسرها، مع كون فاطمة المذكورة من المشهورات بالحفظ، واحتمال النسيان أمر مشترك بينها وبين من اعترض عليها.

فإن عمر قد نسي تيمم الجنب وذكره عمار فلم يتذكر، ونسي قوله تعالى: (وآتيتم إحداهن قنطارا) حتى ذكرته امرأة، ونسي (إنك ميت وانهم ميتون) حتى سمع أبا بكر يتلوها، وهكذا يقال في إنكار عائشة، وهكذا قول مروان سنأخذ بالعصمة، وهكذا إنكار الأسود بن يزيد على الشعبي لما سمعه يحدث بذلك[١]، ولم يقل أحد منهم إن فاطمة كذبت في خبرها[٢].

ثالثا: ومع ذلك فإن فاطمة بنت قيس- رضي الله عنها - لم تنفرد بهذا الحديث- أي حديث الجساسة- إنما شاركها في روايته أبو هريرة

(١) أي حديث فاطمة في النفقة والسكنى.
(٢) نيل الأوطار ٦/٣٠٤.

وجابر بن عبد اللّه وعائشة أم المؤمنين ﷺ ، ولقد ذكر ذلك الإمام بن حجر- رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه فتح الباري حيث قال: وقد توهم بعضهم أنه غريب فرد وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر.

أما أبو هريرة فأخرجه أحمد من رواية عامر الشعبي عن المحرز بن أبي هريرة عن أبيه بطوله، وأخرجه أبو داود مختصرا وابن ماجه عقب رواية الشعبي عن فاطمة، قال الشعبي: فلقيت المحرز فذكره.

وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أبي هريرة قال: (واستوى النبي ﷺ على المنبر فقال: حدثني تميم- فرأى تميما في ناحية المسجد- فقال: يا تميم حدث الناس بما حدثتني « فذكر الحديث وفيه «فإذا أحد منخريه ممدود و إحدى عينيه مطموسة» الحديث . . . وفيه «لأطأنّ الأرض بقدمي هاتين إلا مكة وطابا».

وأما حديث عائشة فهو في الرواية المذكورة عن الشعبي قال: «ثم لقيت القاسم بن محمد فقال: أشهد على عائشة حدثتني كما حدثتك فاطمة بنت قيس».

وأما حديث جابر فأخرجه أبو داود بسند حسن من رواية أبي سلمة عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ ذات يوم على المنبر أنه بينما أناس يسيرون في البحر فنفد طعامهم فرفعت لهم جزيرة فخرجوا يريدون الخبر فلقيتهم الجساسة . . . فذكر الحديث، وفيه سؤالهم عن نخل بيسان). أبعد هذا البيان سيرد حديث فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد شهد لفاطمة في حديث الجساسة ثلاثة من كبار الصحابة

والمشهورين بالرواية أبو هريرة وجابر بن عبد اللّه وعائشة بنت الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

رابعا: إن أعجب ما في هذا الاعتراض الذي أورده الشيخ محمد الغزالي رحمه الله هو قوله: (إن أساطيل الرومان والعرب والترك والصليبيين تجوب البحرين الأبيض والأحمر من بضعة عشر قرن ولم تر هذه الجزيرة، وفي عصرنا هذا طرق كل شبر في البر والبحر والتقطت صور لأعماق المحيطات عن طريق الأقمار الصناعية فأين تقع هذه الجزيرة...).

وفي ادعاء هذا الناقد أن الأرض صورت بالأقمار الصناعية شبرا شبرا أقول:

أ- متى كان من منهجنا أن نسلم حديث النبي ﷺ إن صح إلى اكتشافات البشر وقصورهم العلمي، لاسيما أنهم إلى هذا اليوم مع هذا التطور التكنولوجي الهائل مازالوا يكتشفون أشياء تقع ضمن أراضيهم التي يقطنونها، فضلا عن جزيرة في أحد البحور. كاكتشافهم لكهوف كانت مجهولة فيها من الآثار ما فيها، أو مجموعة من البشر يعيشون حياة بدائية وليس لهم اتصال بهذا العالم، فتنتقل لهم كاميرات التصوير وتكون حولهم هالة إعلامية كبيرة، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قصورهم عن إدراك كل ما على هذه الأرض وإلا فأين سد يأجوج و مأجوج، وما هو السر وراء مثلث برمودا الذي ركعت دون بابه هذه الحضارة المغتر بها ولم تعرف سبب اختفاء كل من ولج في حيز منطقته... الخ.

ورحم الله عليا رضي الله عنه حينما قال لأصحابه بعد مقاتلة الخوارج إن الرسول ﷺ قال: (إن فرقة تخرج عند اختلاف من الناس تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق علامتهم رجل منهم يده كثدي المرأة).

اطلبوا الرجل الذي فيهم- أي ذا الثدية - فطلب الناس الرجل فلم يجدوه حتى قال بعضهم غرنا ابن أبي طالب من إخواننا حتى قتلناهم، قال (الراوي) فدمعت عين علي . . . فدعا بدابته وانطلق حتى أتى وهدة[١] فيها قتلى بعضهم على بعض فجعل يجر بأرجلهم حتى وجد الرجل تحتهم فأخبروه فقال علي الله أكبر وفرح الناس)[٢].

أقول رحم الله عليا رضي الله عنه إذ لم يصدق جموع أصحابه بأنهم لم يجدوا الرجل- ذا الثدية - مع أن البحث عنه يسير إلى حد كبير، لصغر الرقعة التي يبحث فيها وهي ليست بالطبع كالبحث عن جزيرة الدجال، ومع ذلك كذب تلك الجموع ولم يثق ببحثهم للحديث الذي سمعه من نبيه- ﷺ- ولم ينقض الحديث أو يلتمس له التأويلات البعيدة، بل ركب دابته وأخذ يبحث بنفسه عن الرجل حتى وجده.

وللأسف نحن اليوم ننقض أصح الكتب بعد القرآن لأدنى شبهة وهمية نسأل الله عز وجل الهداية والمغفرة لمن زل قلمه أو أخطأ لسانه.

ب- يقول الدكتور محمد أبو شهبه رحمه الله في كتابه دفاع عن السنة النبوية في ثنايا رده على أبي رية وتضعيفه لحديث الجساسة لنفس

(١) الأرض المنخفضة (القاموس المحيط).
(٢) رواه الهيثمي في الزوائد وفي الصحيح بعضه ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح

الشبهة التي رآها الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (وهل علماء الجغرافيا يا(سيدنا المؤلف) اكتشفوا كل بقعة في الأرض؟ إن كثيرا من أقطار البر والبحر لا تزال بكرا إلى الآن لم تطرقها قدم مستكشف، بل في القارات المعروفة أماكن مازالت مجهولة إلى اليوم، وأظن أنه لا يعزب عنك مجاهيل أفريقيا وغير أفريقيا، بل في بعض الجهات المرتادة مغارات وكهوف لا تزال غير معروفة، فإذا كان هذا في البر فما بالك بالبحر؟ وثلاثة أرباع هذه الأرض التي يسكنها النوع الإنساني بحار وعلى تسليم أنها كانت في جزيرة من الجزر المعروفة للناس اليوم، فهل يلزم من اطلاع اللّٰه سبحانه تميما وصحبه على الدابة والدجال اطلاع غيرهم عليها؟!

ألا يجوز بعد ما رآها تميم وصحبه أن تكون اختفت عن الأنظار وذهبت إلى حيث علم اللّٰه سبحانه وتعالى.

* * *

١/٣٦٦ .

د - الشبهة الرابعة:

يحتج البعض بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه وحسنه، الذي يحكي قصة مولد الدجال، فيقول المحتج بالحديث إن كان الدجال حيا وموثقا بالسلاسل في تلك الجزيرة كما تزعمون، فكيف سيولد من جديد ويبتدئ مراحل عدة كأي إنسان وما الحكمة من وجوده على هذه الصفة المذكورة في حديث الجساسة؟!

فلابد من التوفيق بين النصين أو إسقاط أحدهما لأنه لا يمكن تعارض نصين صحيحين، فنعرف من ذلك شذوذ حديث تميم هذا لعدم وجود الحكمة من وجود الدجال على هذه الصفة مادام أنه سيولد من جديد.

ونص الحديث: كما جاء في سنن الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حدثنا عبد اللّه بن معاوية الجمتي ، أخبرنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه» ثم نعت لنا رسول اللّه ﷺ أبويه فقال: أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاخية طويلة الثديين.

قال أبو بكرة: فسمعت بمولود في اليهود بالمدينة، فذهبت أنا و الزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول اللّه ﷺ فيهما. قلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد،

ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه.

قال: فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله همهمة فكشف عن رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم، تنام عيناي ولا ينام قلبي »، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

مدار الشبهة:

أ- معارضة هذا الحديث الذي حسنه الترمذي حديث تميم الدارى الذي يذكر فيه وجود الدجال في جزيرة بالمشرق موثقا بالحديد.

ب- مما يؤيد هذا الحديث الذي يصف أبوي الدجال قوله (أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد).

ج- عدم وجود حكمه من وجود الدجال في الجزيرة مادام أنه سيولد من جديد من هذين الأبوين.

نقض الشبهة:

نقض هذه الشبهة من وجهين:

أولا من حيث السند:

أ - نقول كما يقال أثبت العرش ثم انقش أثبت صحة هذا الحديث ثم ابنِ عليه الأحكام.

ولقد انتقد الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض تصحيحات الإمام الترمذي

رَحِمَهُ اللَّهُ ، والأخذ بقول الإمام الترمذى في التصحيح والتضعيف محل خلاف بين أهل العلم.

ب- هذا الحديث المذكور آنفا حديث غريب انفرد بروايته علي بن زيد بن جدعان.

ولقد انقسم العلماء في توثيق علي بن زيد إلى قسمين:

القسم الأول: العلماء الذين وثقوه، وأقوالهم:

أ- الإمام الترمذي قال عنه صدوق.

ب- الجريري حيث قال أصبح فقهاء البصرة عميانا ثلاثة قتادة، علي بن زيد، ا لحداني(١).

ج- شعبة: قال حدثنا علي بن زيد وكان رفاعا وقال مرة: حدثنا علي قبل أن يختلط(٢).

القسم الثاني: الذين ضعفوه وأقوالهم:

أ- سفيان بن عيينة كان يضعفه.

ب- وقال حماد بن زيد: أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الأحاديث.

ب- وقال الفلاس: كان يحيى القطان يتقي الحديث عن علي بن زيد.

---

(١) هذه العبارة لا يفهم منها التوثيق لأنه لا يشترط أن يكون كل فقيه ثقة في الحديث، وأوردها حسما للجدل.

(٢) وهذه العبارة أيضا ليست دقيقة بالتوثيق.

د- وروي عن يزيد بن زريع، قال: كان علي بن زيد رافضيا.

هـ- وقال أحمد: ضعيف، وروى عثمان بن سعيد، عن يحيى، ليس بذاك القوي، وروى عباس عن يحيى: ليس بشي.

ب- وقال أحمد العجلي: كان يتشيع، وليس بالقوي.

ط- وقال البخاري، وأبو حاتم، لا يحتج به.

ي - وقال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه.

وقد قال الإمام ابن القيم في كتابه المنار المنيف: (... ضعيف وله مناكير تفرد بها فلا يحتج بما ينفرد به). وقد رجح الإمام بن حجر في تقريب التهذيب بأنه ضعيف.

وهو الراجح لأن الجرح مبين ألا وهو سوء حفظه فيكون الحديث بذلك ضعيفا ولا يقوى على مصادمة الحديث الحسن لغيره فضلا عن حديث في صحيح مسلم اتفقوا على صحته ولم ينقل عن الأئمة السابقين من نقاد الحديث وغيرهم إعلاله أو تضعيفه.

وهذا الرجل علي بن زيد بن جدعان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كان من شيوخ الإمام مسلم وخرج له أحاديث في صحيحه لكن على سبيل المتابعة ولم يخرج له حديثا تفرد به، لذلك يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (قد روى له مسلم متابعة... فلا يحتج بما تفرد به)[1].

ويقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... الأرجح أنه ضعيف وبه جزم الحافظ في التقريب ولكنه ضعف بسبب سوء حفظه لا لتهمة في

(١) المنار المنيف.

نفسه، فمثله يحسن حديثه أو يصحح إذا توبع)(١) ولم يتابع في هذا الحديث فجملة القول في حديث صفة أبوي الدجال أنه ضعيف تفرد به علي بن زيد بن جدعان رَحِمَهُ اللَّهُ لاسيما أنه عارض ما هو أقوى منه سندا بالاتفاق.

ثانيا متنا:

ولقد كفانا الإمام ابن حجر- رَحِمَهُ اللَّهُ- في نقض هذا المتن وبيان علله حيث يقول في كتابه فتح الباري بعد أن ذكر هذا الحديث:

(قال البيهقي: تفرد به علي بن زيد بن جدعان وليس بالقوي. قلت: ويوهي حديثه أن أبا بكرة إنما أسلم لما نزل من الطائف حين حوصرت سنة ثمان من الهجرة، وفي حديث ابن عمر الذي في الصحيحين أنه ﷺ لما توجه إلى النخل التي فيها ابن صياد كان ابن صياد يومئذ كالمحتلم، فمتى يدرك أبو بكرة زمان مولده بالمدينة وهو لم يسكن المدينة إلا قبل الوفاة النبوية بسنتين، فكيف يتأتى أن يكون في الزمن النبوي كالمحتلم، فالذي في الصحيحين هو المعتمد...)(٢).

فبعد هذا العرض يسقط قول المعترض ولا يبقى له شبهة قائمة بعد بيان ضعف السند والمتن.

ب- أما معارضته لحديث (أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) فقد أسهبنا في الجواب عن

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٢٧١ .
(٢) فتح الباري ١٣/٣٢٦ .

هذه الشبهة في المقام الأول فلتراجع.

جـ- أما قول المعترض إنه لا يعرف الحكمة من وجود الدجال في الجزيرة فليس دليلا على عدم وجوده ولعل الحكمة استأثر اللّٰه سبحانه وتعالى بها في الغيب و لا يعلمها أحد، وكم من المخلوقات التي خلقها اللّٰه- عز وجل- في الأرض وفي السماء لا نعلم الحكمة من وراء خلقها وإلا - باللّٰه عليك - لم خلق اللّٰه كثيرا من المخلوقات البحرية أو البرية التي ليس للإنسان فيها منفعة ظاهرة.

بل لم خلق اللّٰه بعض النجوم والكواكب التي لا حياة فيها، وغير ذلك كثير فعلينا أن نسلم ذلك لله فهو أعلم بما خلق.

* * *

هـ - الشبهة الخامسة:

أن الدجال هو ابن صياد، والدليل على ذلك قسم عمر رضي الله عنه أمام النبي ﷺ وغيره من الصحابة الذين روي عنهم أنهم قالوا إن ابن صياد هو الدجال.

د- الرد على هذه الشبهة:

أولا: من هو ابن صياد؟

هو رجل ولد في المدينة النبوية من أسرة يهودية، واسمه صافي بن صياد والبعض يطلق عليه صاف، والبعض يطلق عليه عبد اللّه لما جاء في بعض الروايات.

نشأ وترعرع في المدينة النبوية وكان للرسول ﷺ معه بعض المواقف تؤدي بمجموعها أنه دجال من الدجالين بلا شك، حيث ادعى النبوة أمام النبي ﷺ، وكذّب رسولَ اللّه ﷺ في عموم رسالته وغير ذلك، وترك النبي ﷺ قتله لأنه لم يبلغ الحلم آنذاك، وأيضا للعهد الذي بينه وبين اليهود.

وجزم عمر رضي الله عنه أمام النبي ﷺ بأن ابن صياد هو الدجال، فتوقف النبي ﷺ في أمره ونهى عمر عن قتله.

وكبر ابن صياد وأظهر إسلامه وولد له ودخل مكة، وكان له موقف مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حيث إنه أخبر أبا سعيد استنكاره لما يرميه الناس به بأنه الدجال، واحتج بأنه أسلم ودخل المدينة وولد له وأنه سائر إلى مكة، لكن في نهاية الحديث مع أبي سعيد الخدري

أوضح بن صياد أنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأخبر أنه يعرف اسم أمه وأبيه وأين هو.

وفي موقعة الحرة افتقد الصحابة ﷺ ابن صياد فلا يعلمون أين ذهب ولا إلى أي أرض اتجه، وكان يحمل من صفات الدجال الخَلْقية والخُلُقية الشيء الكثير مما جعل السلف يشتبهون بأمره بل جزم بعضهم أنه الدجال.

علاقة ابن صياد بحديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟

فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كما سبق بيانه - روت حديث الجساسة وأن الدجال في أحد جزائر البحور، مربوط ومقيد بالسلاسل في أحد الأديرة، وأنه سيخرج في آخر الزمان ويطأ الأرض كلها عدا مكة والمدينة لحراسة الملائكة لهما.

وعلاقة ابن صياد بالدجال بأنه جزم غير واحد من الصحابة أنه الدجال مع أنه:

- ولد بينهم وفي حديث فاطمة بنت قيس في جزيرة من جزائر البحور.
- وأنه لا يدخل مكة والمدينة وابن صياد قد دخلها.
- وأنه لا يولد له وقد ولد لابن صياد.

وغيرها من المفارقات والتي هي سبب إطلاق الشبهة على حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ولا ثمة شبهة تصلح دليلا لجرح الحديث وسنفند هذه الشبه إن شاء اللّه تعالى فيما سيأتي من البحث.

مناقشة هذه الشبهة:

إن أردنا الرد على هذه الشبهة لابد أن نعرف أولا من قال إن ابن صياد هو الدجال؟ وما دليل كل فريق؟ فعندها تحل هذه التساؤلات وتسقط هذه الشبهة حول حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها فنقول:

القول الأول: وهو ما ذهب إليه عمر بن الخطاب وجابر وابن عمر وأبو ذر وعبد الله بن مسعود[١] رضي الله عنهم، وقواه الإمام القرطبي في التذكرة، وشيخه أبو العباس في المفهم، وملا على القاري في المرقاة وغيرهم، أن ابن صياد هو الدجال الذي أخبر عنه النبي ﷺ.

وذلك لأدلة منها:

أ- قسم عمر رضي الله عنه أمام النبي ﷺ أن ابن صياد هو الدجال ولم ينكر عليه النبي ﷺ، حيث روى الإمام البخاري بسنده عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال قلت: تحلف بالله قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ.

ب- أنه أخبر في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه لا يكره أن يكون الدجال وأنه يعلم أين مكانه.

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قال لي ابن صائد، فأخذتني منه ذمامة: هذا عذرت الناس، مالي ولكم؟ يا أصحاب محمد - ﷺ - ألم يقل نبي الله ﷺ: «إنه يهودي»،

(١) راجع فتح الباري شرح حديث ٧٣٥٥ .

وقد أسلمت، قال: «ولا يولد له «وقد ولد لي. وقال: «إن اللّه قد حرم عليه مكة» وقد حججت.

قال: فما زال حتى كاد أن يَأْخُذ فِيّ قولُهُ قال: فقال له: أما، واللّه إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمه، قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض علي ما كرهت).

فكأنه يرمز لنفسه بهذه المعرفة أي أنه يعرف أنه الدجال، فهو يعرف مكانه ويعرف أمه وأباه.

ج- علامات الدجال الخَلْقية كاعورار عينيه في ما رواه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن ابن عمر قال: (لقيت ابن صياد ومعه رجل من اليهود فإذا عينه قد طفئت وهي خارجة مثل عين الجمل).

والخُلُقية كتنبؤه ودجله، ووقاحته مع الرسول ﷺ وعدم اعترافه بعموم رسالته.

د- شك النبي ﷺ في كونه الدجال، وتربصه به في عدة مواضع لعله يقع عليه في حال يكشف فيها أنه الدجال، حيث روى الإمام أحمد بسنده عن جابر بن عبد اللّه أنه قال: إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه، طالعة ناتئة، فأشفق رسول اللّه ﷺ أن يكون الدجال، فوجده تحت قطيفة يهمهم، فآذنته أمه، فقالت: يا عبد اللّه ، هذا أبو القاسم قد جاء، فاخرج إليه، فخرج من القطيفة، فقال رسول اللّه ﷺ: «مالها قاتلها اللّه، لو تركته لبين.

ثم قال: «يا ابن صائد، ماترى؟» قال: أرى حقا، وأرى باطلا،

وأرى عرشا على الماء. قال: فلبس عليه. فقال: «أتشهد أني رسول اللَّه؟» فقال هو: أتشهد أني رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «آمنت باللَّه ورسله» ثم خرج وتركه.

ثم أتاه مرة أخرى، فوجده في نخل له يهمهم، فآذنته أمه، فقالت: يا عبد اللَّه، هذا أبو القاسم قد جاء. فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما لها قاتلها اللَّه، لو تركته لبين» قال: فكان رسول اللَّه ﷺ يطمع أن يسمع من كلامه شيئا فيعلم هو هو أم لا، قال: «يا ابن صائد ما ترى؟» قال: أرى حقا، وأرى باطلا، وأرى عرشا على الماء. قال: «أتشهد أني رسول اللَّه؟» قال هو: أتشهد أني رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «آمنت باللَّه ورسله» فلبس عليه، ثم خرج فتركه.

ثم جاء في الثالثة أو الرابعة ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب في نفر من المهاجرين والأنصار، وأنا معه، قال: فبادر رسول اللَّه ﷺ بين أيدينا، ورجا أن يسمع من كلامه شيئا، فسبقته أمه إليه، فقالت: يا عبد اللَّه، هذا أبو القاسم قد جاء. فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما لها قاتلها اللَّه، لو تركته لبين» فقال: «يا ابن صائد، ما ترى؟» قال: أرى حقا، وأرى باطلا، وأرى عرشا على الماء. قال: «أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال: أتشهد أنت أني رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «آمنت باللَّه ورسله» فلبس عليه.

فقال له رسول اللَّه ﷺ: «يا ابن صائد، إنّا قد خبأنا لك خبيئا، فما هو؟» قال: الدخ، الدخ. فقال له رسول اللَّه ﷺ: «اخسأ، اخسأ» فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأقتله يا رسول اللَّه. فقال رسول اللَّه

ﷺ: «إن يكن هو، فلست صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإن لا يكن، فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد». قال: فلم يزل رسول اللَّه ﷺ مشفقا أنه الدجال)(١).

وبعد سرد هذا القول وأدلته ومن قال به لا يظن القارئ الكريم أن أصحاب هذا القول يطعنون بحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، بل هم متفقون على تصحيحه لاسيما وأن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه أحد رواة حديث الجساسة.

ولكنهم راموا الجمع بين النصوص حيث يقول الإمام القرطبي في كتابه التذكرة:

(وقد استدل من قال من العلماء: إن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان في معناه، والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم وما يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت، ويكون بين أظهر الصحابة في وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة... الخ).

ومن الأدلة التي استدل بها الإمام القرطبي رحمه الله على أن ابن صياد هو الدجال قال: ذكر سيف بن عمر في كتاب(الفتوح والردة): (ولما نزل أبو سبرة في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم الشهربان أخو الهرمزان ناوشوهم القتال، كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين، فأشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب إن مما عهد علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس

---

(١) رواه أحمد (٣- ٣٦٨). قال شعيب: إسناده على شرط مسلم، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر. وأخرجه مسلم بأخصر مما هنا.

إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال، فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها، وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا أنفسكم بالحصار.

قال: وطاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جند، فأتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقال: انفتح فطار فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون)[١].

القول الثاني: أن ابن صياد ليس هو الدجال الذي أخبر عنه النبي ﷺ، إنما هو دجال من الدجالين، والمسيح الدجال رجل آخر وهو الذي يخرج في آخر الزمان في جزيرة من الجزر القريبة من الجزيرة العربية، وتقع شرقيها كما ثبت ذلك في حديث تميم الداري.

ومن الذين ناصروا هذا القول الإمام البيهقي - رحمه اللّه تعالى - في كتابه البعث والنشور بعد أن أورد حديث فاطمة بن قيس رضي الله عنها حيث قال فيه: (إن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم، وقد خرج أكثرهم، وكأن الذين يجزمون بأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدا إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله، أن يكون في آخرها شيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزائر البحر موثقا بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا، فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع، أما عمر فيحتمل أن يكون

---

(١) التذكرة ٧٣٣.

ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور)(١).

ومنهم الإمام ابن كثير رحمه اللّه تعالى، قال في كتابه النهاية في الفتن والملاحم بعد أن سرد بعض الأحاديث في صفات ابن صياد: (والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعا، وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصل في هذا المقام واللّه أعلم)(٢).

ومنهم الإمام الطحاوي رحمه اللّه تعالى، قال في كتابه الفذ شرح مشكل الآثار وهو يعلق على حديث تميم: (قال أبو جعفر: وكان سرور رسول اللّه ﷺ بما في هذا الحديث مما كان تميم حدثه إياه دليلا على أنه قد تحقق عنده بما يتحقق به مثله عنده، ولولا أن ذلك كان كذلك، لما قام به في المسلمين، ولا خطب به عليهم، وابن صياد يومئذ معه بالمدينة، ففي ذلك ما قد دل أن الدجال الذي كان منه فيه قبل ذلك ما كان، ومن يحذر به أمته منه، ومن إخباره الناس أنه لم يكن نبي قبله إلا وقد حذر أمته خلاف ابن صياد)(٣).

ومنهم: الإمام محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي حيث إنه كان في أول أمره يناصر القول الأول وهو أن ابن صياد هو الدجال لكنه تراجع فيما بعد عنه لما تبين له أن ابن صياد غير الدجال بدلالة حديث تميم.

---

(١) البعث والنشور ص ٣٠ .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم ص ٥٥ .
(٣) شرح مشكل الآثار ٧/ ٣٩١ .

قال في كتابه البحور الزاخرة: (ولقد كنت جزمت أن الدجال هو ابن صياد تبعا لايمة[١] الحديث ومضى على ذلك مدة أفتي من سألني عن الدجال بأنه ابن صياد إلى أن ظهر لي أن الدجال هو الذي أخبر تميم عنه وقرر المصطفى ذلك وبلغه الصحابة)[٢].

ومنهم العلامة الشريف محمد الحسيني البرزنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة. قال: الأصح أن الدجال غير ابن صياد، وإن شاركه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وأنه ساكن في يهودية أصبهان إلى غير ذلك، وذلك لأن أحاديث ابن صياد كلها محتملة وحديث الجساسة نص فيقدم، ومما يرجح أنه غيره أن قصة تميم الداري متأخرة عن قصة ابن صياد فهو كالناسخ له ولأنه حين إخباره ﷺ بأنه من قبل المشرق كان ابن صياد بالمدينة، فلو كان هو لقال بل هو في المدينة، لا يقال إنما لم يقل خوفا عليه من أن يقتلوه فأخبر بما يؤول إليه أمره، لأنا نقول هذا ليس بشيء إذ كيف يقتلون شخصا قبل أجله والمقدر أنه إنما يقتله نبي اللّه عيسى عليه السلام.

ولو كان كذلك لما عين ضئضي الخوارج بأن له أصحابا كذا وكذا، ولما بين قاتل علي كرم اللّه وجهه بأنه يخضب لحيته من يافوخه، ولما بين الحكم بن العاص بأنه يخرج من صلبه من يغير سنته إلى غير ذلك. . .)

(١) لغة في (لأئمة).
(٢) البحور الزاخرة.

وممن يؤيد هذا القول من المعاصرين د. عمر الأشقر في كتابه اليوم الآخر، حيث قال تعليقا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية:

(وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن ابن صياد لم يكن الدجال الأكبر، وأن الدجال الأكبر محبوس في بعض جزائر البحور، ولعله - كما يقول بعض أهل العلم - شيطان من الشياطين الذين حبسهم نبي اللّه سليمان، إذ يبعد وجود بشر على قيد الحياة هذه الفترة الطويلة، واللّه أعلم بالصواب).

مناقشة أدلة القول الأول:

أ- استدل أصحاب القول الأول بقسم عمر ﷺ أمام النبي ﷺ أن ابن صياد هو الدجال، ولم ينكر عليه النبي ﷺ، وهذا الدليل ليس بدليل قاطع من حيث الدلالة لأنه إذا تعارض سكوت النبي مع قوله، قدم قوله على سكوته، لاسيما وأن قوله متأخر عن سكوته كما بينه الإمام البيهقي وغيره، هذا على افتراض لو كان مقرا عمر على قسمه كحديث فاطمة بنت قيس الفهرية ﷺ، لكن حقيقة سكوت النبي ﷺ ليس بدليل على أنه مقر بأن ابن صياد هو الدجال.

يقول الإمام الطحاوي ﷺ في شرح مشكل الآثار:

قال: ففي هذا أن رسول اللّه ﷺ قد سمع عمر يحلف إنه الدجال، فلم ينكر ذلك عليه، ولم ينهه عنه، قال: ففي ذلك ما قد دل على تصديقه إياه على ما حلف عليه من ذلك ولولا ذلك لرده عليه.

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق اللّه عز وجل وعونه: أنه قد يحتمل أن يكون ترك رسول اللّه ﷺ إنكار ذلك، لأنه حلف على

محتمل لما حلف عليه مما لم ينزل على رسول اللَّه ﷺ وحي بخلافه، فترك الإنكار عليه لذلك)[١].

ب - أما دليلهم الثاني بأن ابن صياد لا يكره بأن يكون هو الدجال، وأنه يعرف أمه وأباه، فلا يستبعد عن كثير من الدجاجلة والسحرة والكهنة أن يحبوا أن تكون لهم هذه الخوارق والقوى غير العادية ليتم لهم السيطرة على الأرض، بل لا يستبعد عن كثير من الفسقة فضلا عن الدجاجلة والسحرة.

ويستأنس في هذا المقام برواية الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده بأن ابن صياد قال: (... واللَّه ما أنا بالدجال ولكن واللَّه لو شئت لأخبرتك باسمه واسم أبيه واسم أمه واسم القرية التي يخرج منها...)[٢].

وقد يكون كاذبا في ادعائه بأنه يعرف اسم الدجال ويعرف اسم أمه وأبيه، وذلك حري به أو عرفه عن طريق شياطينه كما تخبر الشياطين باقي الكهنة.

ج- أما اعورار عين ابن صياد حتى كانت كعين الدجال، فالتشابه بين الشخصيتين وارد، كتشابه حال عيني الدجال بعبد العزى بن قطن الخزاعي لما رواه الحاكم وصححه الذهبي أن رسول اللَّه ﷺ قال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإن يخرج ولست فيكم فكل إمرىء حجيج نفسه واللَّه خليفتي على كل مسلم، ألا وإنه مطموس العين كأنها

(١) شرح مشكاة الآثار ٧/٣٨٦ .
(٢) المسند(٣-٧٩) قال محققه إسناده صحيح .

عين عبد العزى بن قطن الخزاعي. . .)[١].

د- أما شك النبي ﷺ، فانتهى بمعرفته مكان الدجال، كما ثبت بحديث تميم ولم يقل النبي ﷺ أن الدجال بين أظهركم، إنما أخبر أنه في الجزيرة بينما ابن صياد كان معهم في المدينة كما سبق بيانه.

هـ- أما الاستشهاد بروايات سيف بن عمر نقول أثبت العرش ثم انقش، فروايات سيف بن عمر على الخلاف الدائر بين العلماء في اعتمادها تاريخيا لكن بالاتفاق لا تقاوم النص النبوي لاسيما إن كان في أحد الصحيحين.

وبعد التمحيص والنظر:

مشكلة ابن صياد واتهامه بأنه الدجال أخذت مجالها في كتب العلماء السابقين كما سلف ذكره، ولا أدعي أنني سأكون فيصلا في هذا النزاع لكن لا بأس بأن أدلي برأي حولها، وأقول إن الناظر في أدلة الفريقين لاشك أنه يستشعر قوة قول كل منهما ورسوخ دليله.

وإن كنت أميل إلى القول الثاني بلا ريب، لثبوت حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سبق بيانه، لكنني لا أهمل القول الأول بالكلية لاستشفافي من وحي النصوص أن ثمة علاقة بين ابن صياد والدجال، للأدلة التي أوردها الفريق الأول وإن كنا ضعّفنا أن تكون قاطعة بأنه الدجال، لكننا لا نوهيها لدرجة أن نقول إنه ليس هناك علاقة بين الشخصين، وذلك بسبب:

---

(١) ٤/ ٥٣٠ وراجع فتح الباري ح- ٧١٢٨.

أ- كثرة شك النبي ﷺ في أمره قبل حادثة تميم، وأيضا بعد ثبوت الدليل بأنه ليس الدجال بقصة تميم لم يبرئ النبي ﷺ ساحته، والدليل على ذلك أن شك الصحابة به ظل حتى بعد موت النبي ﷺ، لاسيما وأن جابر رضي الله عنه - وهو أحد رواة حديث تميم- كان يقسم باللّه أن ابن صياد هو الدجال، ومِثْل جابر ابنُ عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ب- شدة الشبه بينهما الخَلقي والخُلُقي.

ج- أن ابن صياد يعلم أين هو الدجال ويعلم أمه وأباه.

د- أنه لا يكره أن يكون هو الدجال.

هـ- نهاية حياته أعجب مما سبق، حيث إنه اختفى تماما ولا يعرف أين ذهب.

وثبت عن جابر رضي الله عنه أنه قال: (فقدنا ابن صياد يوم الحرة)[1] أما رواية أنه مات في المدينة فلا تثبت.

وغير ذلك مما يثير الشكوك، ولا تطالبني أخي القارئ أن أحدد ماهية العلاقة التي بين ابن صياد والدجال، لعدم وجود الدليل أو البيان الشرعي لذلك، وإنما ذهب بعض أهل العلم إلى أنه شيطان للدجال، خرج في حقبة من الزمن ثم رجع إليه ليخرج مع خروجه الأكبر.

ولا يبعد ذلك، فقد قال الإمام ابن حجر رحمه الله خلال جمعه بين هذه الأحاديث في كتابه فتح الباري: (وأقرب ما يجمع به بين ما تضمنه

---

(١) رواه أبو داود ٤٣٢٤ .

حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال، أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقا، وأن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجئ المدة التي قدر اللَّه تعالى خروجه فيها)(١)، وأيّده على ذلك محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي في كتابه البحور الزاخرة، هذا واللَّه تعالى أعلم.

* * *

(١) فتح الباري شرح حديث ٧٣٥٥ .

نتائج البحث

نتائج البحث

١- يرجع المسجد الأقصى للمسلمين فيعمرونه ويزورونه ويبقى اليهود في باقي فلسطين.

٢- خروج أهل المدينة من المدينة لأمر سوء فتهجر ولا يعمرها إلا القليل وهو بخلاف الهجرة الكبرى آخر الزمان.

٣- تكون حرب عظيمة نتحالف مع الروم فيها ضد عدو من ورائنا ويكون النصر حليفنا من غير خسارة في صفوفنا .

٤- في خضم هذه الحرب يظهر المهدي ويبايع ويأتيه جيش لغزوه فيخسف به فيظهر المهدي على أعداء المسلمين.

٥- تجتمع الروم بجيش قوامه قرابة٩٦٠٠٠٠ ألف جندي لقتالنا وتسمى هذه المواجهة(الملحمة العظمى) تكون جيوشنا بالغوطة بجانب دمشق وجيوش الكفار (الروم) بحلب أو حولها على الحدود التركية.

٦- يفتح اللّه للمسلمين بعد مقتلة عظيمة مع الروم فيسيرون حتى يفتحوا القسطنطينية ويفكوا أسرها من أيدي الكفار.

٧- بعد رجوع الجيش يخرج الدجال ويسير مسيرته الطويلة في الأرض خلال ٤٣٩يوما تقريبا، ويواكب خروجه تغير في ساعات الليل والنهار.

٨- يقاتل الدجال جيوش المسلمين وأشدهم عليه بنو تميم، لكن لا يستطيعون أن ينتصروا (وكل هذه الأحداث والمهدي بين أظهر المسلمين).

٩- يتراجع جيش المسلمين إلى بلاد الشام إلى أن يشتد عليهم الجوع والعطش والفقر .

١٠- ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق (المسجد الأموي كما صرح به ابن كثير رحمه الله وغيره) في السّحر ، ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام والمسلمين صلاة الفجر.

١١- يخرج عيسى عليه السلام بحربته ويقتل الدجال عند باب لد بفلسطين.

١٢- فتستأنف الحرب ضد اليهود فتكون ملحمة عظيمة، حتى أن الحجر والشجر يتكلم يخبر المسلم المؤمن بمكان اليهودي إن كان مختبئا خلفه.

١٣- يقوم عيسى عليه السلام مع الفئة المؤمنة بجهاد ملل الكفر في الأرض، حتى يهلك ذكرها وينتشر الإسلام.

١٤- يخرج يأجوج ومأجوج وينتشرون في الأرض لا سيما أرض الشام فيظهرون الفساد في الأرض.

١٥- يعتصم نبي اللّه عيسى عليه السلام بجبل الطور ويدعو اللّه عليهم.

١٦- يقتل اللّه يأجوج ومأجوج ويرسل طيرا تحملهم إلى حيث يشاء اللّه.

١٧- نزول مطر لا يحتمى منه، ولا يحجبه بيت مدر ولا وبر.

١٨- خروج الشمس من مغربها وخروج الدابة كذلك فأيهما خرج أولا فالأخرى على إثرها قريبة.

١٩- تنزل البركات على الأرض، ويهنأ الناس سبع سنوات طيبات.

٢٠- يرسل اللّه الريح الطيبة من قبل اليمن أو الشام أو منبعها من اليمن وتمر بالشام فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة.

٢١- يرفع الإسلام من الأرض ولا يبقى إلا حثالة الناس وتعبد الأصنام.

٢٢- لا يوجد على الأرض من يقول لا إله إلا اللّه وتظهر الفواحش عيانا أمام الناس من غير حياء.

٢٣- عليهم تقوم الساعة.

٢٤- حديث فاطمة بنت قيس الفهرية المعروف بحديث الجساسة ثابت، وليس هناك علة حقيقية ثابتة تعتريه.

٢٥- أن هناك علاقة بين ابن صياد والدجال.

هذا واللّه تعالى أعلم وأحكم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الخاتمة

أرجو من اللّه عز وجل الكريم أن يتقبل مني عملي هذا وأن يكون حجة لي عنده مما يرفع به حسناتي ويكفر عني سيئاتي ويتقبله بالقبول الحسن فهذا جهد المقل وعلى اللّه التكلان.

كما أني أتمنى أن أكون أضفت شيئا جديدا ومفيدا للمكتبة الإسلامية وأن ينتفع منه القارئ المسلم.

ولا يفوتني أن أذكر القارئ الكريم، بأن هذا العمل عمل بشري يعتريه النقص ويشوبه الخطأ، فجزى اللّه خيرا من دلني على خلل غفلت عنه أو باطل وقعت فيه.

كما أني أرجو من ناقدي أن يتسع صدره لِمَا فيه متسع للخلاف، فمن رام حمل الأفهام على فهم رام المستحيل، ومن ضاق صدره من رأي أخيه من غير دليل واضح فليتهم نفسه.

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساعدني على إخراج هذا البحث بهذه الصورة، حيث إنه مكث حبيس الرف سنين كلما قلت انتهيت بدا لي ما أضيفه حتى كان كما رأيت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تركي بن عيسى العبدلي

٥-٨-٢٠٠٣

turky60@hotmail.com

قائمة المراجع

اسم الكتاب	المؤلف	الدار
أضواء البيان	محمد الأمين الشنقيطي	دار الكتب العلمية
إكمال إكمال المعلم	محمد الأبي المالكي	دار الكتب العلمية
أهوال يوم القيامة	العلامة السفاريني	مؤسسة الكتب الثقافية
اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة	حمود التويجري	دار الصميعي
الآحاد والمثاني	ت: باسم الجوابرة	دار الراية
الأحاديث الطوال	الطبراني	المكتب الإسلامي
الأحاديث المختارة	ت: عبد الملك الدهيش	مكتبة النهضة
الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان	ت: شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة
الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة	محمد صديق حسن قنوجي	دار ابن كثير
الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر	العلمية
الإنحرفات العقدية والعلمية بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر	بخيت الزهراني	دار الرسالة - مكة
الأنساب	للسمعاني	
الإيمان لإبن منلة	ت: علي الفقي	مؤسسة الرسالة
البحور الزاخرة	السفاريني	—

البعث والنشور	للإمام البيهقي	
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة	الإمام شمس الدين القرطبي	دار المعرفة
التفسير والمفسرون	محمد حسين الذهبي	دار القلم
الجامع لأحكام القرآن	الإمام القرطبي	—
الدر المنثور	الإمام السيوطي	—
الرحيق المختوم	صفي الرحمن المباركفوري	دار المؤيد
السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث	محمد الغزالي	دار الشروق
السنن الواردة في الفتن	أبو عمرو الداني	بيت الأفكار الدولية
العصرانيون	محمد حامد الناصر	مكتبة الكوثر
العلمانية	الشيخ د. سفر الحوالي	مكتبة الطيب
القاموس المحيط	الفيروزأبادي	دار الكتب العلمية
القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة	الإمام السخاوي	أضواء السلف
المستدرك	الحاكم	دار الكتب العلمية
المفهم لما أشكل في صحيح مسلم	أبو العباس القرطبي	ابن كثير
المنار المنيف	ت: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة	مكتب المطبوعات
المهدي المنتظر	د. عبدالعليم البستوي	المكتبة المكية - دار ابن حزم
الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة	د. عبدالعليم البستوي	المكتبة المكية -

		دار ابن حزم
النهاية في الفتن والملاحم	الإمام ابن كثير	دار الكتب العلمية
النهاية في غريب الحديث والأثر		ابن الأثير
		المكتبة العلمية
الوعد الحق والوعد المفترى	الشيخ د. سفر الحوالي	التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية
اليوم الآخر	عمر الأشقر	دار النفائس
تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة	عالم الكتب
تحفة الأحوذي	المباركفوري	دار الكتب العلمية
تفسير ابن كثير	الإمام ابن كثير	دار الفكر
تفسير الطبري	الإمام محمد بن جرير الطبري	دار الفكر
تفسير الكريم الرحمن	للعلامة السعدي	مؤسسة الرسالة
تقريب التهذيب	ابن حجر	دار المعرفة
توحيد الخالق	عبد المجيد الزنداني	المكتبة العصرية
سلسلة الأحاديث الصحيحة	الشيخ محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف
سنن ابن ماجة	ت: خليل مأمون شيحا	دار المعرفة
سنن البيهقي الكبرى	ت: محمد عبد القادر عطا	دار الباز
سنن الدارقطني	ت: السيد المدني	دار المعرفة
سنن الدارمي	ت: فواز زمرلي	دار الكتاب العربي
سنن النسائي	ت: الشيخ عبدالفتاح أبو غدة	مكتب المطبوعات الإسلامية
شرح الطيبي على المشكاة	الحسين بن عبدالله الطيبي	مكتبة نزار مصطفى الباز

شرح النووي	تحقيق خليل مأمون شيحا	دار المعرفة
شرح مشكل الآثار	تحقيق شعيب الأرنؤوط	الرسالة
صحيح البخاري	ت: مصطفى البغا	دار ابن كثير - اليمامة
صحيح الجامع الصحيح	الشيخ محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي
صحيح مسلم	محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي
عمدة القارئ	بدر الدين العيني	الطبعة المنيرية
عون المعبود	محمد شمس الحق العظيم آبادي	دار الفكر
عون المعبود	محمد عظيم الأبادي	دار الكتب العلمية
فتاوى العقيدة	العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين	دار الجيل
فتح الباري	الإمام ابن رجب	
فتح الباري	الإمام ابن حجر	دار الفكر
قصة المسيح الدجال	محمد ناصر الدين الألباني	المكتبة الإسلامية
لسان العرب	ابن منظور	—
مجمع الزوائد	الهيثمي	دار الكتب العلمية
مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي	مكتبة لبنان
مسند أبو يعلى الموصلي	ت: حسين سليم أسد	دار المأمون للتراث
مسند الإمام أحمد	تحقيق الأرنؤوط	الرسالة
مسند الحميدي	الإمام الحميدي	دار السقا
مسند الروياني	أيمن أبو يماني	مؤسسة قرطبة
مسند الشاميين	ت: حمدي السلفي	مؤسسة الرسالة
مسند الطيالسي	الإمام سليمان الطيالسي	دار المعرفة
مصنف ابن أبي شيبة	كمال الحوت	مكتبة الرشد

مصنف عبد الرزاق	ت: حبيب الرحمن الأعظمي	المكتب الإسلامي
معجم البلدان	ياقوت الحموي	دار الفكر
معجم الطبراني	ت: حمدي السلفي	مكتبة العلوم والحكم
ميزان الإعتدال	الإمام الذهبي	دار الكتب العلمية
نيل الأوطار	الشوكاني	دار الكتب العلمية
الفتح الرباني	عبد الرحمن السعاتي	إحياء التراث العربي
مجلة المنار	محمد رشيد رضا	—
فتنة الدجال	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	—

ملاحظة: وكتب أخرى كثيرة لم أنقل منها مباشرة.

فهرس الموضوعات

The End of History

Serious Consolidated Islamic Study

By

Abdaly-Turky Eisa Al

Subject of the Book

Many previous cultures have long endeavored to know about the prospective time. They took to seeing through the future throughout considering the past cultures, analyzing their current state of affairs, in addition to speculation. Nevertheless, some cultures has took to magic and sorcery to know the unseen. The Pharonic culture is a good example in this respect.

AS for religious sects and those believing in deism, they took to analyzing the books available at the then time; which were allegedly held in sacred esteems.

In fact, curiosity and craving to know the unseen is a human propensity, even on the level of one's daily life. Something which makes such craving reasonable when it deals with the future of great cultures, the conspicuous impact thereof on humanity is not negligible.

Yet, in this book I will focus only on considering and researching in the Holy Quran and great traditions of the Prophet Muhammad, Peace and Prayers be Upon Him. As a Muslim researcher, my religion calls me for believing that Allah only knows the unseen. This thrusts aside speculation, conjectures, magic or mind through which we can know the unseen and the future incidents. This is unattainable, unless I am informed by He Who knows the seen.

Since I have absolute belief in the correctness and

sacredness of the Holy Quran, and the traditions of the Prophet Muhammad, Peace and Prayers be upon Him, that have been conveyed correctly. Those two sources have told us much about the incidents that occur at the end of the world, I have wrote this book in which I have mentioned in arrangement the great incidents that Prophet Muhammad, Peace and Prayers be upon Him, Has mentioned. They are as follows in brief:

1- The Aqsa mosque will back to Muslims who will visit it and inhabit it, and Jews will remain in the rest of Palestine.
2- The Medina's people will leave it for an adverse phenomenon. Only little people will remain their, this is something different from the great Hijra)Immigration(that will precede the Day of Judgment.
3- There will appear a great sedition among the Arabs. It should be totally avoided.
4- There will be a big war wherein we will ally with the Roman people against another enemy that will be behind us. Moreover, there will be no loss in our people.
5- Within this war, the Mahdi)a rightly- guided man(will appear, and people will vote for him. There will come also an army to vanquish him, but it will sink down into the ground. Thus the Mahdi will be victorious on the enemies of Muslims.
6- The Roman people will gather an army of about 960000 soldiers for fighting Muslims. This fight is known as the

(The fiercest battle). In that battle, the Muslim armies shall be at Ghoota, near Damascus city, and the Roman army will be at Halab city, or around it near the Turkish borders.

7- Allah will grant Muslims victory, after a fierce battle with the Roman people. Then Muslims will move to conquest Qostantenia.

8- After the army comes back, the Dajal)false Messiah(appears, walks his long demonstration on earth in ٤٣٩ days, and his appearance is marked with a change in the time of day and night.

9- The Dajal will fight the Muslims, and the fiercest among them who will fight Dajal belong to Bani Tamim tribe. Yet, Muslims will not triumph.)These incidents will occur while the Mahdi is among Muslims(.

10- The army of Muslims shall retreat to Shamm, and will suffer hunger, thirst and destitution.

11- Then, Jesus will descend from Heaven at Al-Manarato Al-Baidaa)the white lighthouse(in the eastern part of Damascus)In the Umayyad Mosque as narrated by Ibn Kather and others(right at dawn time. The Mahdi then will be the Imam of Fajr)break of day(prayers to the Muslims and Jesus, Peace be Upon him.

12- Jesus- Peace be Upon him- will take his spear and kill the Dajal at the Lod door in Palestine, and Muslims will see the blood of Dajal on the spear of Jesus.

13- War against Jews will resume and will be a fierce battle; it will witness the stones and trees speak telling Muslim believers about the places wherein Jews may hide themselves.

14- Afterwards Jesus will fight, collaboratively with the true believers, all other sects and creeds on earth, till they vanish. Islam then will prevail, and most Christians will adopt it.

15- Then Gog and Magog)people(will appear, spread in earth and will corrupt everything.

16- Prophet Jesus- Peace be Upon Him- will resort to Tor Mountain in Sinai and Pray Allah that Gog and Magog are vanquished.

17- Allah will then kill Gog and Magog, and sends a kind of birds to carry them to whatever Allah wishes.

18- Then, an overwhelming rain will fall. No one can seek shelter therefrom, even inside modern houses.

19- The sun will rise from the west, and the Dabbah)an animal(, indescribable, that will talk tangible words to people. It will mark disbelievers with a distinguishable sign, and believers as well will be distinguished with a sign.

20- Bless will submerge earth, and people will lead seven good years.

21- Allah will send good wind from Yemen or Shamm, or it may come from Yemen and pass by Shamm to make all believers die.

22- The religion of Islam will come an end on earth, and there remain dregs of people who will worship idols .

23- No one to say, No God But Allah, will be ever found on earth, and vices will spread before people with no shyness or bashfulness.

24- Then it is the Day of Judgment.

25- In this book, I have dealt with these incidents in detail. May Allah have granted me His blessings in such work.

By

Turky Al-Abdaly